

مطرانية الزقازيق ومنيا القمح
للأقباط الأرثوذكس
كنيسة السيدة العذراء
وماريوننا بالزقازيق

التوبة واقتناء الفضائل

بنعمة الله
الأنبا ياكوبوس
أسقف الزقازيق ومنيا القمح

مقدمة

التبعة : هي الطريق المؤدى إلى الملائكة الذي وعد به رب . فالملائكة يقترب نحو الإنسان الذي ينشد التوبة وله رغبة أكيدة في تغيير حياته ، إذ يرفع نظره نحو السماء ، ويتجه بقلبه نحو محبة الله التي تتدفق نحوه لتغمر قلبه وتملك عليه .

والحب الإلهي هو الذي يحرق كافة أشواك الخطية الخانقة للنفس ونار الحب الإلهي تطهر القلب من كل شروره وشهواته ونجاساته فيصير القلب نقىًّا ، يعاين الله كما قال رب يسوع في الموعظة على الجبل : " طوبى للأتقياء القلب . لأنهم يعاينون الله " (مت 5: 8) .

والتبعة تفريغ وامتلاء بغير انقطاع ، ترك وأخذ ، جوع وشبع في نفس الوقت .

التبعة تفريغ للخطية وعنصر الشر الذي فينا وامتلاء من النعمة والبر ، ترك العالم بكل ما فيه من أمور مادية

وشهوات عالمية ، ورغبات جسدية ، وأخذ مواهب الروح وغنى الملوك. جوع من خبز الجسد وشبع من خبز الحياة . نجوع إلى يسوع الذي قال بفمه المبارك : " أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعش أبداً " . (يو ٦: ٣٥)

الله الآب السماوي المحب لكل نفس تائبة توبة صادقة راجعة بالحب إلى أحضانه ، يريدها أن تعيش في حالة شبع وفرح وتهليل وتمتع بالأبدية .

الإنسان التائب الحقيقي يسلك هنا بفكر سمائي ، معلناً ذلك في حياته المنظورة أمام الناس لتمجيد الآب السماوي . التوبة تغيير الكيان الداخلي للإنسان وتنقية القلب فيصير داخله ملوكاً . ولا تزال التوبة في كل حين وحتى هذه الساعة هي الطريق الوحيد الذي يوصلنا إلى التعرف على شخصية المسيح ، فمن خلال ضغطة الحزن على الخطية والإحساس بالندم القاتل نستكشف رحمة ربنا

يسوع وقيمة دمه وقدرة لاهوته على الإقامة من الموت
والإنقاد من الهاوية !! ..

وإذا لم نقف على خطر الخطية العاملة فينا ونشعر في
أعماقنا بسر الإثم ، لن نقف يوماً على قيمة الدم الإلهي ،
ولن نشعر أبداً بسر الفداء !! .

وإن كنا لا نفحص ضمائرنا وتلومها وننازع أنفسنا عن
قبائح حياتنا الداخلية وندينها ، ونكتشف في أخطائنا وشهواتنا
وعيوبنا ونجاساتنا حقيقة أنفسنا ، فلن نشعر بأي حاجة
إلى المسيح ، ولن نجد ضرورة ملحة للتعرف عليه ويظل
لاهوته مجرد موضوع للإيمان يزداد ويتناقص بمقدار
البرهان الفكري . وقبوله بمنطق العقل .

أما الدم المسفوك على الصليب فيبدو وكأنه بلا داع ، أو
كأنه لازمة من لوازم قصة الصليب وحسب !! . ولكن
يالجلال الرب للقلب التائب!! . ويالقوة الدم للضمير الذي
يئن من ثقل الخطية !! . حينما تبلغ النفس إلى حقيقة ذاتها

بعد أن تكون واجهت خطئها بشجاعة وصمود دون تهرب
أو اعتذار أو عطف كاذب على النفس المراوغة والتي تحاول
بخداعها تحت ستار البر الذاتي أن تهرب من مواجهة خطأها
حينئذ لا ترى مفرأً من السقوط تحت خشبة الصليب !! .
ولا تعود ترى يسوع موضوعاً فكريًا للإيمان بل حقيقة
لنجاة من الموت و خلاص من الهاوية ..

الخاطئ يسعى بتوبته لميراث الملوك ، ولا يملك إلا
قوة الدعوة التي حظي بها ، كبرهان اختيار ونعمه ،
تحوى في داخلها سر الدم الإلهي القادر أن يغسل ويظهر
ويقدس إلى التمام وحتى النهاية بدون نقص أو عجز أو
ملل من جهة الله .

التوبة تقود الإنسان إلى الاعتراف الحقيقي ، فيقر
التائب بكل خطایاه التي اقترفها ، وآثامه التي ارتكبها
وشروره التي صنعتها أمام الله بانسحاق وتذلل أمام الأب
الكاهن الذي هو شاهد أمين على صدق توبته وإذا كانت

توبه حقيقية ولها فاعلية في حياة التائب ، ف فهي تقوده إلى
الجهاد الروحي لاقتاء الفضائل التي هي ثمار للتوبه .
والروح القدس له عمل أساسى لاقتاء الفضائل .
والنعمه تسند الإنسان التائب لكي ينمو في الفضيلة .

والفضائل تظهر واضحة أمام الناس . و تكون لمجيد
اسم الله القدس . والذات عائق في اكتساب الفضائل
وتوقف نموها . لأن التائب الذي يشعر بذاته ، يدفع النعمه
للتخلي عنه . لذلك يلزم التائب أن يبغض ذاته ويلازم
الاتضاع . لأن الاتضاع جوهر أساسى لاقتاء الفضائل .
فالتأب الذى يقتنى ثوب التوبه النقى لابد أن يتزين
بالفضائل فيظهر مضيفاً ويتهيأ التائب إلى ملكوت السموات
بين يديك أيها القارئ العزيز والمحبوب لدى الله
كتاب : التوبه واقتاء الفضائل يحتوى على عدة فصول
توضح ما هى التوبه ودعوة إلى التوبه وكيف تتوب .

وكيف تعرف اعترافاً صادقاً وكيف يجاهد الإنسان التائب
روحياً لاقتناء الفضائل .

طالبين من رب أن يكون هذا الكتاب سبب بركة ودافع
قوى لحياة التوبة واقتناء الفضائل الروحية . لكل السائرين
على طريق الملوك ، ومتطلعين إلى الحياة الأبدية .
بشفاعة والدة الإله القديسة مريم العذراء وسائر الملائكة
النورانيين والرسل الأطهار والشهداء والقديسين وبصلوات
صاحب الغبطه والقداسة :

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرامة المرقسية وسائر أفريقيا
والخمس المدن الغربية وبلاد المهرج .
ونقدم لإلها القدس كل التسبيح والتمجيد والسجود في
كنيسته المقدسة . أمين

بنعمه الله

الأنبا ياكوبوس

اسقف الزقازيق ومنيا القمح

الباب الأول :

التقوية

الفصل الأول :

ما هي التوبة؟!

+ ما هي التوبة ؟ !

" توبوا لأنه أقرب ملکوت السموات . " {مت ٣ : ٢}

(١) التوبة هي رجوع إلى الله :

" ارجعوا إلىَّ ارجع اليكم قال رب الجنود " (ملا ٣ : ٧) .

وما دامت الخطية خصومة مع الله ، تكون التوبة هي
صلح مع الله .

(٢) تصالح مع الله :

" إذ نسعي كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا .
نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله . " {كو ٥ : ٢٠} .

(٣) التوبة هي يقظة روحية : " هذا وإنكم عارفون
الوقت أنها الآن ساعة لنتيقط من النوم . فإن خلاصنا
الآن أقرب مما كان حين آمنا ".

(رو ١٣ : ١١)

(٤) التوبة انتقال من الموت إلى الحياة .

" لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضئ لك المسيح " (أفس ١٤ : ٥) .

" فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلاص نفاساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ٢٠) .

(٥) التوبة هي قلب جديد ظاهر يمنحه الله للخطابة يحبونه به .

" وارش عليكم ماءاً ظاهراً فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلباً جديداً واجعل روحًا جديدة في داخلكم وأعطيكم قلب لحم . وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامى وتعملون بها ".
(خر ٣٦: ٢٥ - ٢٧) .

(٦) التوبة هي التحرر من عبودية الخطية والشيطان ...

" فإن حرركم الابن فالحقيقة تكونون احراراً " (يو ٨: ٣٦)

(٧) التوبة إذن هي ترك الخطية ولكن من أجل محبة الله . ومن أجل محبة البر .

والتوبة الحقيقة ، فهى ترك الخطية عملاً وفكراً وقلباً ،
حباً في الله ، ووصاياه . وملكته ، وحرصاً من التائب
على أبديته ...

(٨) التوبة الحقيقة هي ترك الخطية ، بلا رجعة
هكذا تروى قصص القديسين الذين تابوا ، مثل
أغسطينوس - موسى الأسود - مريم المصرية - بيلاجية
- تايس - سارة . كانت حياة هؤلاء وغيرهم ، هي نقطة
تحول نحو الله ، استمرت مدى الحياة بلا رجعة إلى
الخطية .

(٩) التوبة هي صرخة من الضمير ، وثورة على الماضي
أشmezاز من الخطية ، وندم شديد ، رفض للحالة القديمة
مع خجل وخزي منها لذلك قيل عن التوبة إنها " قاضى لا
يستحبى " .

(١٠) تغيير شامل لحياة الإنسان .

تغيرت أفكاره ، مبادئه وقيمه ونظرته إلى الحياة ، طابع حياته ، وأسلوبه في الحديث ، معاملاته للناس ، علاقته بالله نفسه من الداخل . قلبه رافض للخطايا السابقة التي كان يحبها . ودخلت محبة الله إلى قلبه . وصار له منهج روحي ، يشعر فيه بذلة روحية .

(١١) التوبة هي استبدال شهوة بشهوة .

هي رغبة للحياة مع الله ، بدلاً من شهوة الخطية والجسد ولا تقتصر على الناحية السلبية أى ترك الخطية ومحبتها إنما تدخل من الناحية الإيجابية في محبة الله وملكته وطريقه ... إنها حرارة تسرى في الإنسان ، وتشعله بالرغبة في حياة طاهرة .

(١٢) التوبة تجديد للذهن .

" ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . " (روا : ٢ : ١٢) .

(١٣) التوبة هي المفتاح الذهبي ، الذى يفتح باب الملكوت .

التوبة هي الباب الموصل إلى الملكوت . هي زيت في مصابيح العذارى يجعلهن أهلا للدخول إلى العرس السمائي .

(١٤) التوبة هي القناة التي توصل استحقاقات الدم من الصليب .

معمودية ثانية ، جح للشيطان مرة أخرى ، فض للشركة التي بين الخاطئ والشيطان ليدخل في شركة مع الروح القدس .

(١٥) التوبة جمرة نار يلتقطها أحد السارافيم من فوق المذبح .

يمس بها فم الخاطئ قائلا له : إن هذه مست شفتيك فأنترع إثمرك وكفر عن خطينك " {أش ٦: ٧} .

من أهمية التوبة في نوال المغفرة قول رب :

" إن لم تتوبيوا فجميكم كذلك تهلكون . " {لو ١٣: ٣}

(١٦) التوبة هي طريق الهروب من الغضب الآتى .
توبه أهل نينوى استطاعت أن توقف حكم الله عليهم بالهلاك . " فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله عن الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه " {يون ٣: ١٠} .

إن الله سوف لا يسألك : لماذا أخطأت إنما سيسألك لماذا لم تتب ؟ ! .

(١٧) التوبة هي إبقاء الله عليك وعدم أخذك في خطيئتك .

فالنوبة هي منحة إلهية وهبها الله للخطأة ، لكي تطهرهم ، وتريح ضمائرهم المتقللة بخطاياهم . وتعيد إليهم السلام الداخلي ، وتردهم إلى رتبتهم الأولى التي كانت لهم قبل الخطية .

(١٨) إنها يد الله الممدودة ، يطلب أن يصالحك .

إنها فرصة لصفحة جديدة ، يفتحها الله في علاقته معك ،
يغفر لك الماضي كله ويغسلك فتبييض أكثر من الثلج .
فيل عن التوبة : [أ] باب الرحمة . [ب] باب الغفران
[ج] باب الحياة [د] جسر يوصل بين الأرض والسماء

(١٩) التوبة هي استجابة من الإنسان لدعوة الله إليه .

{أ} استجابة من الضمير لصوت الله فيه .

{ب} استجابة من الارادة لعمل النعمة معها .

{ج} عدم مقاومة للروح الذي يعمل فينا لخلاصنا وعدم
إحزان للروح وعدم إطفاء للروح .

أقول الآباء عن التوبة

[١] هي قلب منسحق :

إنها النفس المنسقة الراجعة إلى الله .

إنها الركب الجاثية ، والعيون الدامعة والقلوب المنكسرة .

إنها أم الدموع والانسحاق والاتضاع ، لأن التوبة تلذ كل

هؤلاء ...

تحطم كبراء الخطأ ، وتفتت قلبه الصخرى وتدخله إلى حياة الاتضاع .

ماراسحق السريانى

[٢] التوبة هي عذاب عظيم للشيطان مضادها :

لأنها تخلص وتعنق المسببين الذين سباهم بشره . وتعبه الذي تعبه في سنين كثيرة . تضييعه التوبة في ساعة واحدة .

انها تجعل الزناة بتوليين - هي أم الغفران .

إن الآب المملوء رحمة ، لا يغضبك إذا طلبت إليه لأنك وهبك أن تكوني شفيعة للخطاة وسلم لك مفاتيح الملوك .

ماريوحنا سابا {الشيخ الروحاني }

إن أردت أن تفرح السماء تب ... فرح للتأيب وللراعي
وللكنيسة كلها .

التوبة فرح لأنها دعوة للمأسورين بالاطلاق (اش ٦١ : ١).
فرح بالتحرر من عبودية الشيطان والخطية ، وفرح بلذة
الحياة الجديدة النقية ، وفرح بالمغفرة .

فرح لأن التوبة هي حياة النصرة أو أنشودة الغالبين :
ينشد التائب مع داود قائلا: "مبارك الرب الذي لم يسلمنا
فريسة لأسنانهم . انفلت أنفسنا مثل العصافور من فخ
الصيادين الفخ انكسر ونحن انفلتنا . " (مز ١٢٤ : ٦ ، ٧)

* التوبة هي بداية رحلة طويلة الى حياة النقاوة .
التوبة هي بداية العلاقة مع الله . هي بداية طريق
طويل غايته القدسية والكمال .
فالذى لم يبدأ التوبة حتى الآن ، أى لم يبدأ أول
الطريق ، كيف تراه سيصل إذن الى نهايته .

نمو التوبة وكمالها

التوبة كأي فضيلة ، ينمو فيها الإنسان ويتردج ويظل ينمو حتى يصل إلى كمالها .

- ما هي نقطة البداية في التوبة ؟ ! .
هل هي ترك الخطية من أجل مخافة الله ؟ ! .
هناك نقطة قبل ترك الخطية .

• الرغبة في التوبة :

الرغبة في التوبة نقطة حسنة . أتريد أن تبرا ؟ تكون أول خطوة بعد ذلك ترك الخطية بالفعل . لكن أهم من ترك الخطية بالفعل ، تركها بالقلب والفكر . هناك من يترك الخطية بالعمل ، ولكن محبتها تزال في قلبه . يحن إليها ويندم على فرص معينة كان يمكنه أن يخطئ ولم يفعل ! . ربما ترك الخطية من أجل وصية الله وليس لأنه يكرهها .

كمال التوبة هي كراهيّة الخطية

يكره الخطية من كل قلبه ويشمئز منها ولا يحتاج إلى بذل أى جهد فى مقاومتها ، لأنها لم تعد تتفق وطبيعته .

ترك الخطايا التى تتكشف له بالنمو الروحى .

الله من حنوه علينا ، لا يكشف لنا كل خطايانا وضعفاتنا دفعة واحدة حتى لا نقع فى صغر النفس .

الكتاب المقدس - العظات - الكتب الروحية تكشف لنا ضعفاتها فى أنفسنا وتقصيرات تحتاج إلى علاج وإلى جهاد وإلى توبة . ندخل فى عملية تطهير وتنقية قد تستمر مدى الحياة . لأن الشيطان قد يترك ميداناً ، ويحارب فى ميدان آخر نكون مستعدين له فى كل الميادين .

• هناك توبه عن النقائص الخاصة بالنمو الروحى المفروض أن التوبه حياة فاعلة يجعل التائب يصنع ثماراً تليق بالتوبه . كما يقول انجيل متى : " فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبه " {مت ٣: ٨} .

فإن كان لا يأتي بشمر ، فهو محتاج إلى توبه .
" فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فلذلك خطية له "
{ يع ٤: ١٧ } .

* التوبة إذا ليست مرحلة وتنتهى إنما تستمر دائماً :
ليس أحداً بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على
الأرض .

* التوبة عملاً يومياً :
"إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق
فييناً . " {أيوه ١:٨} .

• الفرق بين توبة الخطأ وتوبة القديسين :

الخطأ يتوبون عن خطايا هى كسر صريح للوصايا
وتدل على عدم محبة الله أما القديسون فيتوبون عن
تقديرات طفيفة سببها الضعف البشري ويتوّبون عن
نفائص يشعرون بها لرغبتهم في حياة الكمال . التي يرون
طريقها طويلاً أمامهم ، كل ذلك مع حفظ قلبهم في محبة
الله .

وضعت لنا الكنيسة صلوات يومية نطلب فيها التوبة .

- [١] الاعتراف بالخطية واستحقاق العقوبة . قطع الغروب
- [٢] طلب المغفرة . تحليل الساعة السادسة .
- [٣] طلب إنقاذ الرب للمصلى من الخطية ذاتها . تحليل
الساعة الثالثة .

- [٤] طلب إرشادات لمعرفة الطريق كما في مزمور ١١٩
وتفضل يارب أن تحفظنا في هذه الليلة ...
- [٥] لوم النفس وتبكيتها على سقوطها .. قطع النوم .
- [٦] إيقاظ النفس للتوبة وتذكيرها بالموت والدينونة ومجيء السيد المسيح الثاني . كما في قطع النوم ونصف الليل .

هذا يدل على إننا نطلب التوبة كل يوم وكل ساعة .
كما في صلوات قطع النوم والغروب والسادسة . والثالثة :
طهرنا من دنس الجسد والروح .

*الذى يظن أنه اجتاز مرحلة التوبة لم يفحص ذاته جيداً
من منا وصل إلى محبة الأعداء .. من منا وصل إلى
أن يلهج في ناموس الله ليلاً ونهاراً .

الفصل الثاني :

دعاة إلى التوبة

دعاة إلى التوبة

[١] إن الله المحب للبشر ، بداعي محبته لأولاده يدعوهم للتوبة .

" الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . " {أطى٢:٤} .

" وهو لا يشاء أن يهلك أنساً بل أن يقبل الجميع إلى التوبة . " {بط٣:٩} .

" هل مسراً أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . ألا برجوعه عن طرقه فيحيا . " {خر١٨:٢٣} .
هو يحبنا ويريدنا بالتنمية أن نتمتع بمحبته .

[٢] يريد بالتنمية أن يشركنا في ملكته ويمتعنا بمحبته . دعوة حب للخلاص . " فتوبوا وارجعوا للتمكّن خطاياكم لكي تأتى أوقات الفرج من وجه ربكم . " {أع١٩:٣}.

[٣] في دعوته لنا للتنمية مشاعر الحب ..
" ارجعوا إلى أرجع إليكم قال رب الجنود . " {ملا٣:٧}

"اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إليها وهم يكونون لي شعبا .. لأنني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خططيتهم بعد " {أر ٣١: ٣٣، ٣٤} .

[٤] في دعوته لنا بالتوبة وعد بتطهيرنا وغسلنا :

أنه يقول على فم حزقيال النبي : " وارش عليكم ماءا طاهرا فتطهرون . من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم . وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحًا جديدة في داخلكم وانزع قلب الحجر من لحكمكم وأعطيكم قلب لحم " {حز ٣٦: ٢٥، ٢٦} .

[٥] دعوة الله للتوبة لأننا نحن نحتاج إليها :

"لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم." {يو ١٢: ٤٧} "فلما سمع يسوع قال لهم . لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعوا أبرارا بل خطاة إلى التوبة " . {مر ٢: ١٧} .

" لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك . " {مت ١٨: ١١} .

[٦] هذه التوبه إذا من صالحنا . وليس أمرا مفروضا علينا إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم " {اش ١:١٩ ، ٢٠} . والصالح لنا أن نسمع ونطيع ، من أجل نقاوتنا ومن أجل أبديتنا ومن أجل أن نتمتع بالله .

[٧] التوبه نافعة . مهما كان اسلوبها باللين أو بالشدة . " ارحموا البعض مميزين . وخلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار مبغضين حتى التوب المدنس من الجسد " . {يه ٢٣:٢٢} .

" الآن أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأن حزنكم للتوبه . لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله " {كو ٧:٢} .

[٨] كانت الدعوه للتوبه أهم موضوعات الإنجيل . لكي يتقوى الناس ويخلصوا . أرسل السيد المسيح له المجد قدامه يوحنا المعمدان ، يهiei الطريق أمامه بالتوبه " توبوا لأنه قد اقترب ملکوت السموات . " {مت ٣:٢} .

[٩] عمل التوبة سبق عمل الفداء . والمعمدان سبق المسيح . رب المجد يسوع نادى للناس بالتنوبه : " من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملکوت السموات " [مت ٤: ١٧] .

" ويقول قد كمل الزمان واقترب ملکوت الله . فتوبوا وأمنوا بالإنجيل " [مر ١: ١٥] .

" يكرز باسمه بالتنوبه ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم . " [لو ٢٤: ٤٧] .

[١٠] كان أول كارز هو نوح وتبعه أنبياء كثيرون :

[اش ١] - [حز ١٨] - [يون ٣] - يوئيل - [ار ٣١] .

[١١] لقد اهتم الآباء بالدعوة إلى التوبة :

[أ] القديس أنطونيوس : اطلب التوبة في كل لحظة .

[ب] القديس باسيليوس : جيد ألا تخطئ وإن أخطأت فجيد أن لا تؤخر التوبة . وإن تبت ، فجيد أن لا تعود

إلى الخطية وإن لم تعد ، فجيد أن تعرف أن هذا بمعونة الله وإن عرفت فجيد أن تشكره على ما أنت فيه .

[١٢] الدعوة إلى التوبة وجهت إلى ملائكة الكنائس السبع : فالرب يقول إلى ملاك كنيسة أفسس : " فأذكر من أين سقطت وتب وأعمل الأعمال الأولى وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحر منارتك من مكانها إن لم تتب ." [رؤ٢:٥] وملاك كنيسة برغامس وملاك كنيسة ساردس وملاك كنيسة لاودكية . وقد ارسل الله ناثان النبي لينادى بالتنورة إلى داود النبي مسيح الرب .

[١٣] إن دعوة الله بالتوبة تحمل شعور الإشفاق على أولاده .

فهو يريد الذين ضلوا أن يرجعوا إليه ليكون لهم نصيب في الملوك وميراث القديسين وفي شركة الكنيسة لأن السلوك الخاطئ يمنع شركتنا بالله ويمنع شركتنا بعضنا البعض .

" ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهernا من كل خطية " [أيو ١: ٧] .

[٤] الله يقبل التائبين . وأمثلة كثيرة في الكتاب :

(أ) الابن الضال في سوء حالته [لو ١٥] .

(ب) السامرية التي كان لها أكثر من خمسة أزواج [أيو ٤] .

(ج) اللص اليمين على الصليب [لو ٢٣] .

(د) صلی من أجل صالبيه [لو ٢٣: ٣٤] .

(هـ) زكا { لو ١٩} .

(و) متى العشار جعله رسولا {مت ١٠: ٣} .

إن مراحم الرب أقوى من كل دنس الخطية . وقبوله للخطأة التائبين الذين قبلوا التوبة بارادة قوية وقلوب نقية إنما يكشف عن أعماق محبته الإلهية لذلك لا نستكثر خطئتنا على فاعلية دمه ... ولا نستكثرها على عظم محبته وعظم رحمته .

وقد قال أحد الشيوخ القديسين ، لا توجد خطية تغلب محبة الله للبشر " إذ هو الذي يبرر الفاجر " [أرو ٤: ٥] .

التوبة بين الجهاد والنعمه

" لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " {ع٢ : ٤} .

إذا من المفروض أن يقاوم الإنسان حتى الدم كل أفكار الخطية وكل شهواتها ، وكل طرقها . ويبعد عن العثرات ويستخدم كل الوسائل الروحية التي تثبت محبة الله في قلبه .

يدخل فى حرب روحية ضد أجناد الشر :

[١] يقاتل ويصمد ، ولا يستسلم للعدو ، ويلبس سلاح الله الكامل لكي يقدر أن يثبت ضد مكائد ابليس .

[٢] ساهرا على خلاص نفسه . اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر .

[٣] قاوموه راسخين في الایمان . في مقاومتك تسندك النعمة بكل قوة . صلي ليعطيك الرب قوة على مقاومتها .

[٤] هكذا تشتراك مع الله في العمل .
(أ) الابن الضال لم ينتظر حتى يأتيه الأب .

رجع إلى نفسه ، نفذ . رجع إلى الأب فقبله .

(ب) أهل نينوى صاموا ، تذللوا . جلسوا على الرماد وصرخوا إلى الله بشدة ورجعوا عن أفعالهم ، فقبلهم الله إليه .

" ارجعوا إلى أرجع إليكم قال رب الجنود " [ملا ٣ : ٧]
إذا هناك واجب على الإنسان يقوم به في عمل التوبة .

أهمية التوبة

[١] بدونها لا يتم الخلاص :

" إن لم تتبوا فجميّعكم كذلك تهلكون ... " [لو ١٣ : ٣]
قد يقول البعض إن السيد المسيح قدم لنا دمه للخلاص
والمغفرة فما لزوم التوبة إذن ؟ ألا يكفي دم المسيح ؟
نجيبه قائلين : " إن التوبة هي التي تنقل استحقاقات دم
المسيح في المغفرة . " .

الخلاص يقدم للكل ودم المسيح كاف للكل ولكن لا ينال
منه إلا التائدون .

اشترط الرسول يوحنا أمرين للتطهير :

(١) إن سلكنا في النور . (٢) إن اعترفنا بخطاياانا

[٢] التوبة تسبق المعمودية :

"توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فقبلوا عطية الروح القدس . " [اع : ٣٨ : ٢] الكنيسة في معمودية الكبار تشرط الإيمان والتوبة والاعتراف وبالنسبة للصغار يكتفي بطقس جسد الشيطان لينوب عن التوبة .

[٣] إنها تلزم الائمان أو تسبقه :

"توبوا وآمنوا بالإنجيل " . الائمان بدون توبة لا يخلص أحدا لأن عدم التوبة يهلك الإنسان .

[٤] التوبة تسبق التناول من الأسرار المقدسة .

"ولكن ليتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبر ويشرب من الكأس . لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد رب ... لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا . "[كو ١١ : ٢٨ - ٣١]

[٥] التوبة تسبق جميع أسرار الكنيسة المقدسة :
وذلك لكي يستحق الإنسان فاعلية الروح القدس فيه .
ولكي ينال مغفرة بالتوبة ، تؤهله لنعمة الروح القدس
العاملة في الأسرار .

[٦] التوبة شرط لازم لمغفرة الخطايا :
”فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم لكي تأتى أوقات الفرج
من وجه ربنا . ” [أع:٣٩] .

عوائق التوبة

١) العثرات : اغراءات ، فرصا لرغبات لم تكن متاحة
من قبل - البيئة التي تعطل التوبة .

٢) مقارنة الخاطئ نفسه بمستويات ضعيفة :
يقول : الكل ، الناس هكذا . فهل أشد أنا عن الكل ؟ ! .
٣) ضعف الشخصية : مثال السمكة الحية التي تقاوم
التيار وتسير عكسه .

٤) التأجيل : يؤجل التوبة بأعذار واهية ويقول : حين تناح لى فرصة مناسبة سوف أتوب .

٥) اليأس : الشعور بأن التوبة صعبة وغير ممكنة . إن الشياطين قبل السقوط يقولون لك إن الله رؤوف رحيم . وبعد السقوط يقولون إنه ديان وعادل ويخيفونك لليأس من مغفرة الله فلا تنتوب .

٦) البر الذاتي : الذى فيه لا يشعر الإنسان إنه مخطئ . كذلك لا يتوب من لا يبكي نفسه ومن يرفض تبكيت الآخرين . التوبة سهلة للمتواضعين . وصعبة على الأبرار فى أعين أنفسهم .

٧) عدم وجود مخافة الله فى القلب .
قال مار اسحق : حيث لا توجد مخافة الله لا توجد التوبة أيضا

التوبة والكنيسة

- ١) الكنيسة هي التي تدعو الخطاة إلى التوبة عن طريق الوعظ والتعليم . وتقدم كلمة الله للناس . وزيارة الناس وحل مشاكلهم بكل أنواعها الروحية والاجتماعية .
- ٢) الكنيسة هي الوسط الروحي الذي يساعد على حياة التوبة .
- ٣) الكنيسة تقدم للتأيب سر الاعتراف وتمنحه الحل والمغفرة " من غرفتم خطایاه تغفر له . ومن أمسکتم خطایاه أمسكت . . " [يو ٢٠ : ٢٣] . هكذا يخرج التائب من الاعتراف وقد استراح ضميره . وهكذا يملك السلام على قلبه ويبدأ بدءاً حسناً روحياً .
والكنيسة في سر الاعتراف تعطى الإرشاد الروحي .
- ٤) في الكنيسة يجد التائب القلب الذي يأتمنه على أسراره
- ٥) الكنيسة تقدم للتأيب كل بركات سر الافخارستيا .
بالتوبة تستحق المغفرة وبالاعتراف والتناول تتالها .

الفصل الثالث :

التبوية في الكنيسة الأولى

وكيف تتبّع؟!

* سؤال جماعى نطقت به القلوب التى نخسها روح الله ..

ماذا نصنع ايها الرجال الاخوة؟! ..

كان جواب الرسل على هذا السؤال : " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس" (اع ٣٨:٢) .

كان هذا الكلام موجهاً الى كل واحد.. كل واحد يحتاج الى التوبة.. جميع البشر محتاجين إلى التوبة .. والتوبة هي رسالة المسيحية الأولى .

هكذا كرز يوحنا المعمدان والسيد المسيح وتلاميذه فى ارساليتهم التدريبية.. وعدم التوبة يعني الهلاك والموت .

" ان لم تتبوا فجميعكم كذلك تهلكون " (لو ١٣:٣)

" توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس "... كانوا في حاجة إلى التوبة ، اى إلى تغيير الفكر والطريق ليستأهلوا المعمودية... أما عطية الروح القدس فهي لا ينالها إلا من

اعتمد على اسم يسوع المسيح... فالمعمودية هي باب المسيحية ، ومن لا يعتمد لا يتمتع ببركات الله التي يفيضها علينا من قبل اسرار الكنيسة المقدسة ، والتي ينقلهالينا الروح القدس.

* للاحظ هذا الترتيب في كلام بطرس الرسول : " توبوا... اعتمدوا... فتقبلوا عطية الروح القدس" . لانه لا يمكن ان نتمتع بعطايا الروح القدس الا بالمعمودية القانونية من الكنيسة، ولا تعطى لنا المعمودية الا اذا تبنا وآمنا معترفين باليسوع ربآ ومخلصاً ...

كيف تتب؟!.

(١) حاسب نفسك :

الخطوة الاولى في طريق التوبة هي محاسبة النفس. مثل الابن الضال . استعرض حالات شقائك وتعبك وقلفك وقد ان سلامك .. ما الذي سلبني سعادتي وراحتي وفرحي وسلامي؟. وقفه خاسعة امام الله وصلاة خارجة من القلب ملؤه الخجل ووجهها منكساً الى اسفل وعينين دامعتين ويدا

تقرع على الصدر في ندم وشفتين ترددان نفس كلمات ذلك الابن الضال " يا أبي اخطأت إلى السماء وقدامك .." (لو ١٥ : ١٨) .

حاسب النفس يعتبر من المقومات الأساسية للحياة الروحية ولا تقتصر منافع حساب النفس على الناحية السلبية أي نواحي مراجعة الأخطاء ، بل تمتد إلى النواحي الإيجابية ونعني بها الفضائل .

حاسب نفسك اذا لتعرف اخطاءها وعيوبها ونقائصها، ومتى عرفتها ووقفت عليها . لوم نفسك وانبها بقوه .

متى تكون محاسبة النفس؟ ! :

(١) عقب الخطية مباشرة

(٢) كل يوم حتى نصف الحساب اليومي .

(٣) قبيل التوجه للأب الكاهن للاعتراف

(٤) في نهاية كل أسبوع باعتباره وحدة زمنية. نأخذ عقبة يوم راحة للجسد. وحبدنا أن تقترن راحة الجسد براحة الروح .

(٥) في نهاية كل عام " كللت السنة بجودك وأثارك تقطر دسماً ،"الآن قد وضع الفأس على أصل الشجرة... " (مت ١٠:٣) .

نتضرع إلى الرب في تذلل وانكسار " يا سيد أتركها هذه السنة أيضاً " (لو ٨:١٣) .

تنتهي بصلوة : يجب ان نرفع صلاة الى الله معترفين بذنبونا وضعفاتنا طالبين الغفران والعون واما شاكرين معونته ونعمته طالبين ان يسندنا إلى النهايه لكي نخلص .

٢) فكر فى عواقب الخطية

فكر فى عواقب الخطية... وأعلم أنها تهين الله جداً . وتهيج غضبه عليك وتفصلك عن إلهك وتحرمك سلامك ، وتورثك القلق. ما الذي أبكي القديسين على خطاياهم السالفة

مثال داود . " تعبت فى تتهدى . أعوم فى كل ليلة سريري
وبدموع أذوب فراشى " (مز ٦: ٦) . لأنى عارف
بمعاصى وخطيئى أمامى دائمًا . (مز ٣:٥١) .

تذكر خطياك وجهالات صباك وابكي عليها ان امكنك
ذلك في مخدعك فدموعك تغسل ذنوبك .

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم : انظر ذاتك أيضًا فانك
متى تذكرت خطئتك الله لا يذكرها، وان نسيتها فالله
لا ينساها .

(٣) الراحة والخلاص هما في المسيح وحده

كن على يقين أن الراحة الحقيقة والفرح الكامل، والسلام
الذى يفوق كل عقل، لا ولن يحصل عليه انسان الا
بالمسيح وفي المسيح الذى قال " تعالوا الى يا جميع
المتعبين والتقليلى الأحمال وأنا أريحكم " (مت ١١: ٢٨)
وهو الذى اعطى تلاميذه سلامه الكامل ...

ضع فى قلبك ان الخلاص من الخطية ومن سلطانها انما هو بال المسيح وحده ، بالإيمان باسمه والايقان بقوته و معونته والرجاء فى رحمته ، واستخدام وسائل الخلاص التى رسمها لنا فى كنيسته .

" وليس بأحدٍ غيره الخلاص . لانه ليس اسم اخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به ينبغي ان نخلص (اع ١٢:٤) .

" لأنكم بدوني لا تقدرون ان تفعلوا شيئاً " (يو ٥:١٥) .

ياك ان تعتمد على ارادتك او حكمتك او معرفتك الروحية
أجعل الله كل شيء في حياتك .

(٤) تأمل في تفاهة العالم وبطشه

أنظر إلى العالم في تفاهته لا في غروره . وأعلم انه باطل الأباطيل الكل باطل . أحيا في العالم ولا تدعه يحيا فيك .
أين الملوك أين العظماء ؟ اذهب إلى القبور وتعلم هل
تسطيع ان تميز عظام أحد الملوك من عظام رعيته
وعظام السادة من عظام العبيد .

ان أمجاد العالم الزائلة هي الفخ الذي ينصبه لك عدو الخير . ان غرور العالم يشبه المصباح الذي يجذب اليه الفراش الجميل ، فيحوم حوله وهو يرقص طرباً ، ثم ما يلبث أن يسقط في داخله فيحرق لوقته ...

(٥) أعرف قيمة نفسك

لو عرفت قيمة نفسك لما اهملت أمر خلاصها ولما توانيت عن توبتها . ان نفسك لهى أسمى وأثمن من العالم وما فيه . " لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه".
(مت ١٦: ٢٦) .

ان نفسك ثمنها دم المسيح الذى سفك على الصليب لاجل خلاصك . اننا الان فى زمن الرحمة ، وغداً فى السماء سنصبح فى زمن العدل ان أهنت العدل هنا يمكنك الالتجاء الى الرحمة لكن ان انت أهنت الرحمة فإلى من تتلجئ حينئذ؟!.

(٦) لا تؤجل التوبة

لا تؤخر التوبة أو تؤجلها ، فكثيرون منهم فى الجحيم الآن . انتقلوا من هذا العالم على أمل التوبة فى مستقبل حياتهم ، ولكن الموت عاجلهم وباغتهم ولم يمهلهم .

مثال العذارى الجاهلات ، الغنى الغبى ... " يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التى أعدتها لمن تكون " (لو ١٢: ٢٠) .

يقول سليمان الحكيم فى سفر الجامعة : " لكل شىء زمان وكل أمر تحت السماء وقت " . (جا ٣: ١) . فما هو وقت التوبة ياترى ؟ ليس هو زمن الشيخوخة .

ربما لا يجدى تأجيل التوبة الى زمن الشيخوخة بعد أن تكون قد فاحت من الانسان رائحة الخطية .. ورب قائل يقول ولماذا لا أؤجل التوبة ؟! . وما هى الاضرار التى قد تحدث نتيجة لذلك ؟ قد تحدث انحرافات فى الطريق . ضعف الارادة والنية للتوبة والحياة المستقيمة . قد تنتهى حياة الانسان قبل أن يتوب .

(٧) احذر من اليأس

"توبني فأتوب لأنك أنت رب الـهـى" (ار ١٨:٣١).
ليست طلبة مقبولة لدى الله مثل الطلبة التي لأجل خلاص النفس. الطلبة التي من أجل خلاص النفس لا يرفضها الله أبداً إذ هي ارادته . "ليس شيئاً محبوباً لدى الله، وسريراً في استجابته مثل إنسان يطلب من أجل ذلاتة وغفرانها " ماراسحق السرياني

قد يأتي اليأس من تذكر خطايانا وبشاعتها. نوع آخر من اليأس قد يأتي به الشيطان علينا في بدء طريق التوبة والجهاد . وهو أن يصعب لنا الطريق ويوضع أمامنا العرقل ويحاربنا بالملل والضجر كل ذلك حتى نيأس من أول الطريق .

- لكن لنعلم جيداً أن طريق الملائكة ليس مفروشاً بالورود والرياحين... يكفي وصف المسيح له، ان بابه ضيق ومسلكه شاق وكرب .

هناك في بداية الطريق والحياة مع الله يرجع كثيرون إلى الوراء . مثل بنى إسرائيل في حنينهم إلى مصر . هناك مبدأ هام في الحياة الروحية هو مبدأ التغضّب.

" ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملوكوت السموات
يغصب والغاصبون يختطفونه " (لو ١٢: ١١) .

" لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية " (عب ٤: ١٢) .

وبقدر ما نغصب انفسنا لحياة التوبة والصلاح والجهاد
بقدر ما تأتينا معونة الله

" بقدر ما يشقي الانسان وي jihad ويغصب نفسه من أجل
الله ، هكذا معونه الهيه ترسل اليه وتحيط به ، وتسهل
عليه جهاده وتصلح الطريق امامه .

لكن لا يستمر الامر هكذا شاقاً في كل طريق الملوكوت،
بل أن موعد الله تشجعنا، وتعزياته الخفية، وصوته
ال الصادر من داخلنا يؤازرنا ويقوينا بل يأتي الوقت حينما
يرى الرب تمسكنا به وقهراً ميلنا من أجل حبه ويرفع
عنا الحروب والقتالات .

ماراسحق السريانى

ما أروع التشبيه الذى أوردته القديسة سفرنيكى .

" جهاد عظيم وتعب يلقى المتقدمين الى الله فى البداية
وبعد ذلك فرح لا ينطق به ، كمثال الذين يتلمسون أن

يوقدوا ناراً ففي أولها تدخن وتندفع عيونهم وفيما بعد ينالون المطلوب .

ولأنه قد قيل إن إلهنا ناراً أكله ، فلننكب دهن العبرات لتشتعل النار الإلهية داخلنا .

(٨) كل الخطايا قبله للغفران

قال رب المجد يسوع المسيح : " الحق أقول لكم أن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجاديف التي يجذفونها . ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية . لأنهم قالوا أن معه روح أناجسا " (مر ٣: ٢٨ - ٣٠) .

والتجاديف على الروح القدس ، الذي لا يغفر ، والذي ورد ذكره في هذه الآية ليس هو خطية مجردة ، بقدر ما هو حالة روحية معينة يصل فيها الإنسان إلى الفساد الطوعي والعناد والمقاومة المقصودة للمعرفة الصريحة وتأنيبيات الضمير الشاهد بتأثير الروح القدس في القلب .

الذي يعتاد رفض الروح القدس وتأثيره ويتعتمد احتماد صوت ضميره الذي يؤنبه فهو يحرم من الغفران حرماناً

أبداً. إذ يفقد كل وسيلة لارشاده وتأنيبه لأن مهمة الروح القدس أثارة القلوب وأرشادها ثم أقناعها بالحق ... "ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة". (يو ٨: ١٦).

(٩) احذر التهاون وتذكر الدينونة

ايالك ان تفهم خطأ مراحم الله الواسعة .. فكما أن الله رحوم فهو عادل أيضاً .

من الذى أتى بالطوفان على العالم - حرق سدوم وعمورا - غرق فرعون وجنوده..... إبادة ٦٠٠ الف فى البرية - احراق محلة أبيرام .

"ان لم تتبوا فجميعكم كذلك تهلكون." (لو ٣: ١٣) .

الفصل الرابع :

كيف تعرف اعتراضاً صادقاً؟!

كيف تعرف اعترافاً صادقاً ؟ ! .

" إن اعترفنا بخطيائنا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطيائنا ويظهرنا من كل أثم . " (إيو ١ : ٩) .

الاعتراف هو الإقرار بالخطايا والذنوب التي اقترفها الإنسان بعد توبة صادقة مصحوبة بندم على حياة الماضي وتغيير جوهري في حياة الإنسان للاتجاه نحو حياة البر والقداسة والنمو في الفضائل لتمجيد اسم الله القدس .

للاعتراف عناصر ثلاثة هي :

أولاً : بيني وبين نفسي :

ليس الاعتراف مجرد عبارات يتلوها المعترف على مسمع الأب الكاهن حتى لو كانت هذه العبارات تعبر عن الحقيقة وإنما هو توبة صادقة .

قال القديس كبريانوس من آباء القرن الثالث . يؤنب الذين يتقربون للتناول دون توبة صادقة : " كيف تعطى لهم الأفخارستيا وهم لم يصنعوا توبة . ولم يقدموا بعد اعترافاً ، ويد الأسقف أو الكاهن لم توضع بعد عليهم " رسالة ٩ عدد ٢ . إن أولئك الذين يقولون " الحمد لله لا

يوجد شئ " . إنما يضلون أنفسهم . هؤلاء إنما يخفون خطاياهم ويكتذبون على الحق، وإنما لا يعرفون أنفسهم مع الأسف ويكتذبون على الله .

قال معلمنا يوحنا الرسول : " إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ... إن قلنا أنتا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا " (يو ١: ٨ ، ١٠) لنتأكد جميعاً أن صلاة التحليل دون اعتراف ودون توبة صادقة لا ولن تهينا غفراناً لخطايانا .

قال سليمان الحكيم في سفر أخبار الأيام الثاني : " فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر وأعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بنى البشر " (أي ٦: ٣٠) .

* جلسة مع نفسك :

إذا أدنت إنساناً ما ، فقل لنفسك لماذا أنا أدننت فلان . هل أنا أفضل منه؟! . وإذا أنا أدننته على هذا الخطأ فأنا لي أخطاء أيضاً ، وهل أنا كامل بلا خطية؟ .

"ليس أحداً طاهراً من دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض".

ولماذا أنا أدين ، أنا لست صاحب دينونة . الله هو الذي يدين . والسيد المسيح له المجد قال : " لا تدينوا لكي لا تدانوا . " (مت ٧ : ١)

اطلب من الرب أن يبعد عنك روح الإدانة وأن يعطيك الاتضاع وأن يسندك بنعمته حتى لا تسقط .

- متى تكون المحاسبة ؟ ! .

(١) عقب الخطية مباشرة . (٢) في نهاية اليوم .

(٣) قبل التوجه إلى أب الاعتراف .

(٤) في نهاية الأسبوع .

(٥) في نهاية الشهر . (٦) في نهاية كل عام .

قارن بين معاملة الله النبيلة لك واحساناته إليك وبين جحودك ونكرانك . قارن بين حياتك وحياة الآباء القديسين قل مثل داود النبي : " لأنى عارف بمعاصى وخطيئى

أمامي دائمًا .. " {مز ٥١: ٣}. بروح انسحاق . فتصغر نفسك ، وسيتجدد فيك الشعور بال الحاجة إلى نعمة الله .
قل هذا الدعاء : " إلهي امنحني أن اعرف من أنت
ومن أنا ؟ . أنت الإله القدس المحب الممجد الساكن في
الاعالي والناظر إلى المتواضعات .
أنا الإنسان الترابي ... الذي يخطئ كل يوم ، وأنت تنظر
إلى في حب وحنان وتصبر على لكي أرجع وأتوب .
ثانيةً : جلسة مع الله :

يقول داود في المزمور : " لما سكت بليت عظامي من زفيرى اليوم كله . لأن يدك ثقلت على نهاراً وليلاً . تحولت رطوبتى الى بيوسة القiste . اعترف لك بخطيتي ولا أكتم اثمى . قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خططي " . (مز ٣٢: ٣ - ٥) .

... سامحني يا إلهي واغفر لي خطيائي . أنت تعرف يارب ضعفى وكثيراً ما أسقط . إن كنت للاثام راصداً يارب من يثبت لأن من عندك المغفرة . ليس عبد بلا خطية ولا سيد بلا غفران . " ارحمني يارب لأنى ضعيف.

أشفني يارب لأن عظامي قد رجفت . ونفسي قد ارتابت
جداً . وانت يارب فحتى متى!. عُذْ يارب . نج نفسي .
خلصنى من أجل رحمتك " {مز ٦ : ٤-٢} .

يارب ارحمنى كعظيم رحمتك واقبل توبتى . هبلى نعمة
من عندك وقوة لكى اكمل توبتى . واسلوك حسب وصاياتك

ثالثاً : أمام الأب الكاهن :

لا تخجل أن تقف لتعترف أمام الأب الكاهن بكل خطاياك
وآثامك . فالخجل ولو أنه قاسى ومتعب إلا أنه مفيد لك
يشعرك ب بشاعة الخطية ومقدار حقاره الوقع فيها
ويشعرك أنها عار ونقص ...

ثم ممن تخجل ولماذا تخجل؟! .

قد يؤدى الخجل ببعض الأفراد إلى التساؤل عما إذا كان
من المفترض على الإنسان أن يعترف على كاهن ولماذا لا
يعترف إلى الله رأسا؟! .

وتتضمن أيضاً الكبرياء إلى الخجل .. هذه خدعة من الشيطان يريد بها أن يمنع عنك بركات كثيرة تحصل عليها .

* أنت تخجل من أن تعرف أمام الكاهن ، ولماذا لم تخجل عند ارتكابك الخطية أمام الله .

"اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا . طلبة البار تفتقد كثيراً في فعلها " (يع ٥ : ١٦) .

كيف تعرف !؟

(١) حينما تجلس أمام أب الاعتراف أحذر من أن تكون لك دالة عنده واذكر أنك مُقدم على سر رهيب يجدد حياتك ويحدث فيك تغييراً .. اذكر أنه نائب الله ووكيله الذي يحاسبك على خططياك ، لا تذكر خططياك كشخص يحكى قصة أو يروى خبراً إنما بألم ورعدة.

(٢) اعترف بكل أنواع الخطايا : الفعل - القول - الفكر -
الحس .. " اسكبي كمياه قلبك قبلة وجه السيد ".
(مرا ٢ : ٩) .

أعلم أن كل خطية لا تعرف بها ستظل باقية مهما
تحسن حالتك فيما بعد ستظل تقلقك حتى لو صرت قديساً

(٣) اهتم بتقاصيل الخطية التي يظهر فيها لون من
ال بشاعة حتى تظهر على حقيقتك .. مكان الخطية -
زمانها - الشخص الذى أخطأ إلية . فالاعتراف العام لا
يجديك كثيراً . يا أبى لم أصلى كما ينبغي ولم أحب
الآخرين كما يريد الله ، ولم أتناول بالاحترام اللائق .
فرق بأن تقول نظرت يا أبى نظرة شريرة وبين قولك
وكانـت هذه النـظرـة فـي الـكنـيـسـة .

فرق أن تقول أفكارى تحاربـنى من جهة فتـاة وأـشعر
بالمـيلـ إليها .. وبين قولـكـ هذهـ الفتـاةـ فـىـ منـزلـ وـاحـدـ وـفـىـ
نفسـ السـكـنـ . فرقـ أنـ تـقولـ : إـنسـانـ قالـ لـىـ كـلـمةـ مـزـاحـ
فـأـنـاـ غـضـبـتـ عـلـيـهـ لـأـنـىـ فـهـمـتـهـ فـهـمـاـ رـدـيـأـ .. وبين قولـكـ

إني غضبت من إنسان لأنى أكره هذا الشخص ولا أطيق
كلامه .

(٤) اهتم أيضاً بمدة الخطية .. ارتكابها مرة واحدة أو
أكثر .. هل أصبحت عادة متعلقة عليك وتتجدد صعوبة في
الإلاع عنها .

(٥) اهتم كذلك بمشاعرك أثناء فعل الخطية .. هل كنت
مسروراً بها أم نافراً منها؟.

(٦) لا تحاول التماس لنفسك الأعذار . وأن تنسى
سقطاتك للآخرين مثل قولك . الشيطان ضحك على في
كذا و كذا ... الشيطان مدان وانت ببرئ . الخطية انت
تفعلها بارادتك وحدك . شخص ضايفني وأنا اضطررت
للغضب .

(٧) كن أميناً في اعترافاتك .

(٨) اهتم بالنواحي الايجابية في اعترافاتك . الفضائل التي قصرت في التحلی بها : المحبة في كل تفاصيلها . واجبات العبادة . انكار الذات - الطهارة .. طهارة الجسد ، الحواس ، القلب ، والفكر .

(٩) ولا تظن أن اعترافك يقتصر على الناحية الروحية بمعناها المفهوم لدينا ، دون نواحي حياتك الأخرى . فالسيد المسيح له المجد يأمرنا بالكمال: " فكونوا أنتم كاملين كما ان أبياكم الذي في السموات هو كامل " . (مت ٥ : ٤٨) .

ويأمرنا بالأمانة " كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة ." (رؤ ٢ : ١٠) . وطبعاً الكمال والأمانة في كل شيء

(١٠) اعترف بالخطايا حتى لو كانت لديك معرفة بعلاجها . الاعتراف ليس لمجرد العلاج وإنما لنواول الحل والمغفرة ولا غفران بدون إقرار بالذنب والخطية .

(١١) يجب أن تصارح أب اعترافك بكل مافي نفسك حتى لو كان من جهته هو .

(١٢) استمع جيداً لنصائح أبيك الروحي واقبلها . وإذا اتعبك شيء منها فصارحه بذلك ، كالمريض الذى يصارح الطبيب بأنه استراح إلى الدواء أو لم يسترخ . فيستطيع الأب الكاهن أن يعينك فى ذلك ويعطيك ما يناسبك من التمارين الروحية .

الحل من الخطية

* **صلوات التحليل** : بعدما تكون قد اعترفت أمام أبيك الكاهن اعترافاً كاملاً بكل خطاياك ، اركع في خشوع وقل له : "Hallalni ya Abi من خطاياي التي اعترفت بها ومن المستترة أيضاً " .

فربما تكون هناك خطايا نسيت أن تذكرها . وحينئذ سيمد الكاهن يده بالصلب ، ويضعه على رأسك ، ويصلى عنك صلاة التحليل .

وتنقسم صلاة التحليل إلى ثلاثة طلبات :
التحليل الأول والثاني والثالث .

التحليل الأول :

نعم يارب يارب الذى أعطانا السلطان ان ندوس
الحيات والعقارب وكل قوة العدو

التحليل الثاني :

انت يارب الذى طأطأت السموات ونزلت
التحليل الثالث :

أيها السيد الرب يسوع المسيح ، الابن الوحيد ، وكلمة
الله الآب ، الذى قطع كل رباطات خطايانا ...
نتائج صلوات التحليل هذه فهى :

(١) مغفرة لخطايانا : بالكيفية التي وقعن فيها " بعلم أو
بغير علم " .

(٢) مغفرة لخطايانا بأنواعها التي فعلناها " بالفعل أو
بالقول " .

(٣) مغفرة لخطايانا التي وقعنا فيها تحت مختلف الظروف " بجزع القلب أو بصغر النفس . ثم بركة ، طهارة ، وحل من كل قيود الخطايا وسلطانها ... بعد صلاة التحليل تأكّد أنّ الرب رفع عنك خطاياك . تقدم في محبة وخضوع وقبل الصليب الذي في يد الأب الكاهن لتتزود بقوّة وبركة وفاعليّة الصليب في حياتك الروحية .

الفصل الخامس :

كيف تجاهد روحياً؟!

كيف تجاهد روحياً؟
"إن كان أحد يجاهد ولا
يكلل إن لم يجاهد قانونياً"
"

(٥:٢٢ تى)

كثيرة هي الآيات التي تشرح ضرورة الجهاد .. وكمثال يقول معلمنا بولس في رسالته إلى العبرانيين: "لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحطة بنا بسهولة ولنحضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عب ١٢: ١) يقول الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلاً : "لم تقرواوا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" (عب ١٢: ٤) .

فالمفروض أن نجاهد ، وليس جهاداً عادياً إنما جهاد حتى الدم ضد الخطية . ثم إلى متى هذا الجهاد؟ . يقول رب المجد يسوع : "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا بخلص" (مت ١٠: ٢٢) . وهنا يعترض الذين يقولون

بأهمية النعمة دون الجهاد بالآية القائلة " فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذي يرحم " (رو٩:١٦) .

- ما معنى هذا ؟

هل رحمة الله هي التي تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا إلى الملائكة ، بدون سعي وبدون مشيئة صالحة ؟
مستحيل !!

هل معنى هذا أن كل انسان ينام في الخطية كما يريد ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريد ، يرحمه الله ؟ كلا ! .
فإن بولس نفسه الذي كتب هذه الكلمات يقول : " قد جاهدت الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً قد وضع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً " (٢٣:٤،٧،٨) .

تعلمنا بولس أكمل السعي ، ونال إكليل البر نتيجة لهذا السعي وهذا الجهاد الحسن .

ويقول أيضاً تعلمنا بولس : " كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شئ . أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلًا يفنى وأما

نحن فِاكْلِيلَا لَا يَفْنِي . إِذَا أَنَا أَرْكَضُ هَذَا .. بَلْ أَقْعُمُ
جَسْدِي وَاسْتَعْبُدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرِزْتُ لِلآخَرِينَ لِأَصْبِرُ أَنَا
نَفْسِي مَرْفُوضًا " (كِو٩ : ٢٥ - ٢٧) .

فِبُولُسْ نَفْسِهِ يَرْكَضُ ، بُولُسُ الَّذِي كَانَ مُمْتَنَّا مِنَ الرُّوحِ
الْقَدِيس ، الَّذِي كَانَتْ تَعْمَلُ فِيهِ النِّعْمَةُ أَكْثَرُ مِنَ الْجَمِيعِ ،
هَلْ كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَرْكَضَ ؟ .. نَعَمْ كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ
يَرْكَضُ ، لَكِي يَنْالَ بَلْ يَقْعُمُ جَسْدَهُ وَيَسْتَعْبُدُهُ حَتَّى لَا
يَصِيرُ هُوَ نَفْسِهِ مَرْفُوضًا . فَإِنْ كَانَ بُولُسُ الرَّسُولُ يَجَاهِدُ
وَيَخَافُ أَنْ يُرْفَضَ ، فَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ ؟ ! .

الْحَرْبُ الرُّوْحِيَّةُ

لِنَتَأْمَلُ مَا وَرَدَ فِي الإِصْحَاحِ السَّادِسِ مِنَ الرِّسْلَةِ إِلَى أَهْلِ
أَفْسُسِ : (أَف٦ : ١٠ - ١٨) .

" أَخِيرًا يَا أَخْوَتِي تَقَوَّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شَدَّةِ قُوَّتِهِ . الْبُسُوا
سَلَاحُ اللَّهِ الْكَامِلُ لَكِي تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبِتُوا ضَدَّ مَكَائِيدِ ابْلِيسِ .
إِنْ مَصَارِعُنَا لَيْسَ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ بَلْ مَعَ الرُّؤْسَاءِ مَعَ
السَّلَاطِينِ .. مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوْحِيَّةِ فِي السَّمَاوَيَاتِ ..
فَاثْبِتُوا مَمْنُونِيَّنِ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَا بَسِينَ درَعَ الْبَرِّ .

وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام . حاملين فوق الكل
ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام
الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح
الذي هو كلمة الله . مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت
في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواطبة وطلبة لأجل
جميع القديسين " (أف٦: ١٠ - ١٨)

هنا مصارعة وهنا حرب روحية ، أي هنا جهادا ،
والسلاح هو سلاح الله ، هو الإيمان . هو الاعتماد على
الرب لكن ليس معنى ذلك أننا لا نجاهد ، فالنعمنة هي
السلاح ، والجهاد هو الحرب ، جاهد إذن واعتمد على الله
في جهادك ، والله سوف يعطيك حياة النصرة . ولا
تصبح مثل شخص أخذ ترس الإيمان وخوذة الخلاص
وسيف الروح ومنطقة الحق ودرع البر ووقف ساكنا لا
يحارب . فكيف ينتصر ان لم يستعمل درع البر وسيف
الروح الذي هو كلمة الله . إنها حرب وجihad وقتل
وصراع ، وأسلحة هي اسلحة الله ، ولكن لابد لك أن
تستخدمها وتحارب بها ، وإلا فستهزم .

ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكيأ كانت معهم الأسلحة الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو الخطية وسلموا نفوسهم لها ، فهلكوا فى خطاياهم .

ويقول معلمنا بولس الرسول : إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً " (٢٥: تى٢) .

إذن لابد أن تجاهد ، وتجاهد قانونياً ، وبهذا تخلص . ويقول معلمنا بطرس الرسول فى رسالته الأولى : " اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين في الإيمان " (١٨: بطيء٥) .

أى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين في الإيمان ، أى قاوموه بنعمة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشري . جاهد بكل ما أعطيت من قوة ، معتمداً على نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

الجهاد القانونى :

الجهاد القانونى الذى يحظى بعطایا النعمة للخلاص ..
الجهاد القانونى يكون وفق وصايا الإنجيل بالحب
والاتضاع

(١) يجاهد الإنسان فكريأً ، بمعنى أنه يرفض كل فكر يعرض عليه ليساعد بينه وبين الرب .. مقابل هذا يوهم الإيمان الذي يرتفى به إلى مستوى الثقة فيما يرجى والإيقان بالأمور التي لا ترى ، أي يرتفع إلى مستوى يتجاوز فيه كل حدود المقاييس البشرية .

(٢) يجاهد لكي يرفض اغراءات العالم . فيوهم القوة التي بها يحيا فى شركة مع الله ، أو أنه يرتفع بالحياة مع الله فوق كل ما للعالم من مطالب ، تؤدى به للموت ثم الهلاك .

(٣) يجاهد لكي يرفض الحواجز النفسية والروحية . فيوهم القوة في دم المسيح التي بها يخترق كل هذه الحواجز .

(٤) يجاهد في تنفيذ الوصية .

ليعطيه الرب نعمة إمكانية تنفيذ الوصية ويسلك بالكمال .

- (٥) يجاهد لكي تسكن كلمة الله المحبية أعمقه .
فيوذهب الذهن الروحي الذي يقبلها ، ليسلاك في القدسية
التي يريدها لنا رب .
- (٦) يجاهد ليصلى بالانسحاق والتضرع والتذلل قدام
الرب ، والدموع . كما كان السيد المسيح له المجد ،
يصلى في بستان جسماني " وكان عرقه يتصرف
كقطرات الدم " وقضى الليل كله في الصلاة . وفي جهاده
ومثابرته في الصلاة ، يوهب بالروح ما يصلى به ،
ويمنح الإحساس بالحضور الالهي .
- (٧) أن يجاهد في التوبة . ويقطع عن نفسه كل رباطات
الموت . فيوذهب الإمكانية لذلك ويعطيه رب قلباً جديداً
حياً ، لا يمكن لرباطات الموت أن تمسك به .
- (٨) يجاهد في المطانيات ، وينسحق قدام الرب .
ويقول " لصقت بالتراب نفسي فأحنني حسب كلمتك "
فيعطيه الرب انسحافاً داخلياً . ويتخلص من كبراء الذات

(٩) يجاهد في الصوم .

المثابرة في الصوم والزهد في طعام الجسد ورفض لشهوات الجسد ورغباته . فيوهب نعمة خاصة وبينال نقاوة الفكر والقلب وينعم بهدوء النفس وحياة التأمل .

(١٠) يجاهد في الخدمة .

يبذل ذاته من أجل الآخرين . فيوهب نعمة التجرد وحب العطاء فيقدم ذاته ذبيحة حب من أجل الله . وبالإجمال يجاهد في كل الممارسات الروحية . ليأكل من شجرة الحياة ، فيعطيه الرب النصرة والغلبة ، ويبده الطاهرة يقدم له جسده المبذول ودمه المسفوک ، كطريق أوحد للاتحاد به ، والثبات فيه .

ما أكثر النصوص المقدسة التي تؤكد ضرورة الجهاد ، لكي يوهب المؤمن من الرب كل الهبات الازمة لتمام الخلاص . إن لم يكن هناك آية ضرورة للجهاد ، فما هو المعنى الذي كان يقصده الرب يسوع من الوصايا التي أعطاها لكل أولاده ، لكي يسلكوا في القدس وينشدوا دائمًا الكمال الذي لأبيهم السماوي ، لقد أجمل الرب كل

مقاصده في القول الالهي المقدس : " اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق . فإني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون . " (لو ١٣: ٢٤) .

الإنسان في أيام غربته على الأرض التي هي فترة إعداد واختبار وتمحیص للأبدية . فلابد أن يجاهد الإنسان في حياته طالباً من الرب أن يسنه بنعمته ويكمّل جهاده على الأرض ليقول في النهاية : " الآن تطلق عبدي يا سيد حسب قولك " (لو ٢٩: ٢٩) . ويقول مع الرسول بولس : " لي اشتاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً " (في ١: ٢٣) .

لا يوهم الإكليل بدون غلبة ، ولا توجد غلبة بدون جهاد .

ففي الأبدية الأكاليل معدة للغالبين والمنتصرين ، الذين نالوا النصرة على الشيطان ، والعالم والخطية وشهوات الجسد . وصارت أرواحهم نقية فيكافؤا في قيامة الأبرار

- من أقوال القديس مقاريوس الكبير :

من يريد أن يأتي إلى الله ليستحق الحياة الدائمة ، ولن يكون مسكنًا للسيد المسيح ويمتلئ من الروح القدس ينبغي عليه أولاً أن يكون مؤمناً إيماناً ثابتاً بالله ، وأن يتفرغ لعمل وصاياه ويرفض العالم بالكمال .

فإذا كان عقله مشغولاً بشئ مما يرى فحينئذ عليه أن يلازم الصلاة ويكلف نفسه بالقيام بكل عمل صالح . وإن كان قلبه لا يريد ، إما بسبب قتال أو لتأصل عادة رديئة أو لعجز وقلة صبر فليجاهد ليخطف ملوكوت السموات ، لأن الغاصبين يختطفونه . وليرحص أن يدخل من الباب الضيق ، ويسير في الطريق الكربة الموصلة للحياة الأبدية ، و يجعل الله بين عينيه دائماً أبداً . مداوماً على عمل ما يرضيه وحده ، فإذا درب الإنسان نفسه على أن يتعود ذلك ذاكراً الرب دائماً متراجياً إياه بشوق كثير ، فحينئذ يخلاصه الرب من الأعداء ومن الخطية الساكنة فيه ويملاه من نعمة الروح القدس وهكذا يستطيع أن يعمل الفضائل بالحقيقة بدون تعب ولا تكلف لأن الرب يعينه .

الباب الثاني :

اقتناء الفضائل

الفصل الأول :

الفضيلة ومصادرها

ومستوياتها

أولاً : ما هي الفضيلة ؟ ! .

(١) الفضيلة تعنى النقاوة ، أو السير في طريق الله . وقد تعنى قوة في النفس ، تمكناها من الانتصار على كل نوازع الشر وإغراءاته .. وممارسة الحياة البارة .

(٢) الفضيلة هي الارتفاع فوق مستوى الذات . بحيث يخرج الإنسان عن دائرة ذاته ، ويعيش لغيره . فيخرج من الاهتمام بنفسه ، أو التركيز على نفسه ، للاهتمام بالآخرين .. من محبته لنفسه إلى محبته لله وللناس .

(٣) الفضيلة أيضاً هي ارتفاع فوق مستوى اللذة : الخطيبة هي سعي وراء اللذة . والفضيلة هي ارتفاع فوق مستوى اللذة ، إلى أن تجد إشباعاً لها في السعادة الروحية . والسعادة غير اللذة ، والفرح غير اللذة . اللذة غالباً مرتبطة بالحس ، بالجسد والمادة ، أما السعادة والفرح فيرتبطان بالروح ... ولذلك الفضيلة إذن تكون ارتفاعاً فوق مستوى المادة أيضاً ...

• ثانياً مصادر الفضيلة :
١) الحكمة والإفراز والمعرفة .

"الحكيم عيناه في رأسه . أما الجاهل فيسلك في الظلام ."
{جا ٢٤ : ١٤}

الحكيم الحقيقي بالضرورة يسلك في حياة الفضيلة . بينما
الخاطئ يوصف بأنه جاهل ، مهما كان من العلماء ! .
 فهو جاهل بطبيعة الأشياء ، جاهل بطبيعة الخير والشر ،
جاهل بمصيره الأبدي ، جاهل بما تجلبه الخطيئة من
نتائج خطيرة .

جاهل لا يعرف خيره من شره ، ولا نفعه من ضرره ! .
هو جاهل من جهة الحكمة الإلهية ، وجاهل من جهة
المعرفة الحقيقية .. ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى توعية
وإلى إرشاد ...

الحكمة تدعو الإنسان إلى السير في الطريق السوي .. وكلما
يتعمق الإنسان في الحكمة ، على هذا القدر يتعمق في فهم
الأمور . ويعرف ما ينبغي أن يكون .

(٢) قوة الإرادة والعزمية :

قد لا يستطيع إنسان أن يسلك في طريق الفضيلة ، لأنه مغلوب من نفسه ، لأنه ضعيف الإرادة . وكما يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى روميه : " لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإذا أ فعل . " [رو ٧: ١٩] . ولهذا فإن كثيرين - لكي يحيوا في الفضيلة - يسلكون في تماريب روحية لتقوية إرادتهم . إن الضعف يسبب الوقوع في الخطية . والواقع في الخطية يؤدي إلى مزيد من الضعف . كل منهما يكون سبباً ونتيجة للأخر .

ولذلك نقول عن الإنسان الفاضل ، إنه إنسان قوى ... قوى في الروح ، وفي الفكر ، وفي العزمية ، وفي التنفيذ وفي التدريب . إنه قوى في الانتصار على النزعات الداخلية . وقوى في الانتصار على الحروب الخارجية .

(٣) المبادئ والقيم :

الإنسان الروحي المتمسك بالمبادئ والقيم ، يحيا حياة الفضيلة . لأن القيم التي يؤمن بها تحصنه ، فلا يستطيع أن يخطئ ، مهما حورب بالخطية . أما الإنسان الخاطئ ،

فلا قيم عنده . أي أن الفضائل لا قيمة حقيقية لها في نظره ، حتى يحافظ عليها !! .

وبسبب ضياع القيم ، يقع في الاستهتار واللامبالاة ... لا الوقت له قيمة ، ولا الموعيد لها قيمة ، ولا الواجبات لها قيمة ، ولا النظام العام ، ولا القانون ، ولا التقاليد .. ولا شيء على الإطلاق .. ! .

(٤) مخافة الله :

الإنسان الذي توجد مخافة الله في قلبه ، لا يخطئ .. وللهذا قال سليمان الحكيم في سفر الأمثال : " بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدس فهم . " {أم ٩: ١٠} .

ونجد في هذه الآية الحكمة والمخافة معاً .. الإنسان الروحي ، يخاف أن يكسر وصايا الله . ويخاف اليوم الذي يقف فيه أمام الديان العادل ليعطي حساباً عما صنع . ويخاف العقوبة .. بل يخاف أن يفقد طهارته ، وأن يفقد الصورة الإلهية . ويخاف أيضاً على سمعته ، ويخاف أن يكون عثرة لغيره .

وبالمخافة ، يسلك في طريق الفضيلة . وبممارسة الفضيلة يحبها . وهكذا يسلك فيها حباً لا خوفاً .

ويقول معلمنا بطرس الرسول : " إن كنتم تدعون أبا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف " {بط ١٧ : ١٧} .

ويقول معلمنا بولس الرسول : " تمموا خلاصكم بخوف ورعدة " {في ٢ : ١٢} .

(٥) الموهبة الإلهية :

الفضيلة على نوعين ، نوع يولد الإنسان به ، بطبع هادئ طيب .. ونوع يجاهد الإنسان لكي يصل إليه . والذي يولد بالفضيلة ، يحتاج أيضاً إلى جهاد ، لكي يغلب .. لأن عدو الخير لا يشاء أن يتركه في راحة . بل يحاربه محاولاً أن يفقده فضائله .

فالذى ولد بالفضيلة ، يلزمـه أن يثبت فيها ، ويصمد أمام حروب العدو . وكما قال الرب لملائكة كنيسة فيلادلفيا : " ها أنا آتـى سريعاً . تمسـك بما عندك لئلا يأخذ أحد إـكليلـك . " {رؤ ٣ : ١١} .

وأيضاً يجاهـد حتى يصل إلى الكمال في فضـيلـته . إنه جهـاد النـمو . وجـهـاد يدخلـه من الـباب الضـيق حـسب وصـية الـرب القـائل : " ادـخلـوا من الـباب الضـيق . " {مت ٧ : ١٣} .

(٦) النعمة :

نعمه الله التي تساعد الإنسان وتقويه ، لكي يسلك ويثبت في طريق الله . كما قال معلمنا بولس الرسول : " ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبد أكثر منهم جميعهم . ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي . " {١٥:١٠} .

والأهمية هذه النعمة ، فإن الكنيسة المقدسة تطلبها لنا في كل اجتماع قائلة : " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين . " {١٣:٢٤} . ونشارك على إننا يجب أن نتجاوب مع عمل النعمة . ونشترك مع الروح القدس في العمل .

ذلك لأن نعمة الله العاملة معنا ، لا تهينا الفضيلة إلا باشتراكنا معها ، وقبولنا لها .
الروح القدس يعمل فيينا ، ونحن نعمل معه . نشارك معه في العمل .

(١) شركة الروح القدس :

الروح القدس يسكن فينا . وهو يعمل فينا . وفي نفس الوقت يعمل بنا .

ولذلك لابد أن نشارك معه في العمل . ولا يمكن أن نأخذ من عمل الروح فينا موقفاً سلبياً .

لذلك فالفضيلة هي شركة مع الروح القدس . هي نتيجة لقوة عمل الله . الذي يقابلها تجاوب من إرادة الإنسان . لأنه إن كان الإنسان لا يريد ، فلا يمكن أن تتم الفضيلة

(٢) محبة الخير :

الفضيلة ليست مجرد عمل الخير ، إنما هي بالأكثر محبة الخير . لأن بعض الناس قد يعملون الخير خوفاً ، أو خجلاً أو تجنباً لكلام الناس . أو يعملون الخير حباً في المديح ، أو رغبة في نوال مكافأة ، مجازة للآخرين ولكن ليس في كل ذلك فضيلة ... إنما الفضيلة هي حب الخير ، حتى إن لم تفعله لسبب خارج عن إرادتك . ولكن إن وجدت إمكانية لعمل الخير ، لابد أن تعمله . وهكذا تجتمع نية القلب ، مع الإرادة ، مع العمل . لأن النية وحدها ، لا تقييد الآخرين .

والعمل هو التعبير عما في القلب من مشاعر طيبة .
الفضيلة لا تقف عند حد ، إنما هي سعي نحو الكمال .

(٣) سعي نحو الكمال :

فالذى يعمل الفضيلة يود أن ينمو فيها . ويستمر فى النمو حتى يصل إلى الكمال الممكن له كأنسان ، أعنى الكمال النسبي . وكما قال رب المجد في العظة على الجبل : " فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " {مت ٥: ٤٨} .

والسعى إلى الكمال ، قد يحتاج إلى التدرج . لأن الطفرات السريعة كثيراً ما تؤدى إلى المجد الباطل والافتخار ، وأحياناً تكون لها نتائج عكسية .
أما إذا أرادت النعمة أن ترفع الإنسان مرة واحدة إلى فوق ، فهذه هبة إلهية غير عادية .

وتتأتى هذه الفضيلة بالممارسة في الحياة . ويقول معلمنا بولس الرسول : " إذا لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح . " {رو ٨: ١} . ويقول معلمنا يوحنا الرسول : " من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه

كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً." {أيو ٢ : ٦}. إذن الفضيلة هي سلوك بالروح قد يبدأ بالحب . وقد يبدأ بالمخافة ، ويتحول إلى الحب . ولكنه في كلتا الحالتين - حب الله ، وحب للخير ، وحب للغير ، يظهر في سلوك الإنسان وفي حياته العملية .

(٤) حياة جهاد :

لأنه كما أن النعمة تحب أن ترفعك إلى فوق ، كذلك قوى الشر لا ترید أن تترك في راحة ، إنما تحاول أن تجذبك إلى أسفل . وكما قال معلمنا بطرس الرسول : " اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلّه هو . فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجري على إخوتكم الذين في العالم " . {أبط ٥: ٨، ٩} .

من هنا كانت الفضيلة صراعا ضد الخطية .

السلبية والإيجابية في الفضيلة

فمن الناحية السلبية مقاومة الخطية ورفضها، ومن الناحية الايجابية السلوك الطيب في عمل الخير. فليست الفضيلة هي فقط البعد عن الخطية ، إنما أيضا حياة البر .
لا يكفي فقط انك لا تكره إنسانا، إنما يجب أن تحب الكل.
ليست الفضيلة هي أنك لا تضر الناس، بل هي بالأكثر أن تخدمهم وتعينهم وتتعب لأجلهم .

مستويات الفضيلة في حياة الإنسان

مستويات في الإحساس ، والفكر ، والقلب ، والعمل.....
المستوى الجسدي للفضيلة ، والمستوى النفسي ،
والمستوى الروحي وعلى الإنسان أن يحفظ نفسه في كل مستوى، ويحترس من السقوط في غيره .
فمثلا الحواس هي أبواب الفكر. فما تراه وتسمعه وتلمسه، قد يجلب لك أفكار. فلكي تحفظ فكرك، احفظ حواسك. وان أخطأت بالحواس، لا تجعل الخطأ يتتطور إلى فكرك. فان وصل إلي الفكر اطرده بسرعة. وان وصل الخطأ إلي الفكر، لا تجعله يتحول إلي مشاعر في قلبك. وان تحول إلي مشاعر لا تجعله يتتطور إلى الفعل

والعمل. واعلم أن جميع المستويات تتجاوب مع بعضها البعض. وربما يصير البعض منها سبباً ونتيجة.. فخطأ القلب يسبب خطأ الفكر. وخطأ الفكر يسبب مشاعر للقلب. وربما الاثنان يدفعان إلى العمل. والعمل يسبب خطية للحواس ، وكذلك الحواس تقود إلى العمل... أنها دائرة ، أية نقطة تدور فيها، توصل إلى باقي النقط . وكما في الشر، كذلك في الخير ، تتعاون المستويات معا.

الفضيلة من الداخل والخارج

في الداخل ، في القلب والروح والفكر. وفي الخارج في الجسد والممارسة.

الحب مثلاً فضيلة في القلب ، ولكن لابد أن تتحول إلى عمل محبة من الخارج. وفي ذلك يقول القديس يوحنا الرسول : " يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق . . . { ١٨:٣ } .

وهنا تظهر المحبة التي فيها عطاء وبذل وتضحية. ففضيلتك التي في فكرك ، لا يشعر بها أحد. فيجب أن يعبر عنها بعملك.

الله نفسه عبر عن مشاعر القلب بالعمل فقيل في انجيل معلمنا يوحنا البشير " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حياة أبدية." {يو ١٦:٣} " أحب العالم " هذا من جهة القلب.." وبذل ابنه الوحيد" هذا من جهة العمل. والله يعبر عن محبته لنا برعايته وعنائه وحفظه لنا. ومن هنا كان الحب فضيلة القلب والفاء هو العمل والتعبير.

إذا لا نكتفي بأن نقول محبة الله في قلوبنا، إنما ينبغي أن نعبر عن هذه المحبة، وأن نبذل لأجله، ونتألم لأجله...ولا نكتفي بإيمان بغير أعمال ، لأن الإيمان بغير أعمال ميت ". {يع ٢٠، ١٧:٢}

خشوع القلب من الداخل ، نعبر عنه بخشوع الجسد من الخارج. وهكذا نجد في الصلاة : الوقف والركوع والسجود ، ورفع الأيدي، والنظر إلى فوق . وثبتات النظر بلا تشتت ، والجسد بلا حركة ، والفكر بلا طياشة..نعبر عن المخافة والخشوع بالسجود .

وقول معلمنا بولس الرسول " لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" {اكو ٦:٢٠} .

لا يكفي إذا التمجيد بالروح، إنما بالجسد أيضا. المشاعر الداخلية تحتاج إلى التعبير الخارجي. فيشترك الجسد مع الروح. وتكون الفضيلة من الداخل ومن الخارج أيضا. ما يجري في عروقك من مشاعر، ويكون له أثر من الخارج. نريد إذن الفضيلة المثمرة بالعمل الطيب، بالكلمة الطيبة ، بالسلوك الحسن ، بالقدوة، بالنور الذي يضيء للآخرين ، بالمحبة العملية.

تكامل الفضيلة

الفضائل تتكامل معا، ولا تتعارض. وان سلكت في فضيلة ما ، فلابد ستقودك إلى فضائل أخرى عديدة...إنها سلسلة متراقبة. احترس من الاهتمام بفضيلة واحدة، تفقد معها باقي الفضائل .

كوني أحب الناس ، هذا أحسن. ولكن ليست محبتهم معناها مجاملتهم في كل شئ ، ولو علي حساب الحق. ولكن أحب الله، وأحب الناس في نفس الوقت. وليس الحب معناه العطف الجسدي أو المادي فقط ، إنما معناه أولا الحب الروحي.

محبة الله يجب أن ترتبط أيضا بمخافته ، أي بمهابته.

اقتناء الفضيلة

أقوال الآباء :

(١) سأل أخ شيخاً: كيف تقتني النفس الفضيلة؟

أجاب الشيخ: إذا هي اهتمت بزلاتها وحدها.

(٢) إن الفضيلة تريد أن نريدها لا غير

أحد الآباء

(٣) لا تظن في نفسك أنك تناول مسيرة فاضلة أو صلاحاً
لنفسك بغير تعب.

ماراسحق السرياني

(٤) إن حد كل تدبير للسيرة يكون بهذه الثلاثة : التوبة -
النقاوة - الكمال . ما هي التوبة؟ هي ترك الأمور
المتقدمة والحزن من أجلها. ما هو الكمال؟ هو عمق
الاتضاع ورفض كل ما يرى ولا يرى ، أى ما يرى
بالحواس ، وما لا يرى بالهذىذ عليه .

(ماراسحق السرياني)

(٥) قال آخر: من أجل هذا لسنا نفلح لأننا لا نعرف
مقدرتنا ، وليس لنا صبر في عمل نبدأ به ، ولكننا نريد
أن نقتني الفضائل بلا تعب.

(٦) ومرة قال الطوباوي أوغريس للقديس أرسانيوس:
كيف وليس لنا معرفة وحكمة بشرية ليس لنا فضائل ،
وهو لاء القرويون المصريون أغنياء بها.

أحاب أنسا ارسانيوس :

نحن ليس لنا معرفة عالمية ولكن هؤلاء المصريون
القرويون اكتسبوا الفضائل بجهادهم .

(٧) لماذا نحب الفضائل ؟! .

(أ) لنحب المسكنة لنخلص من محبة الفضة.

(ب) لنحب السلامة لننجو من البغضه.

(ج) لنقتن الصبر وطول الروح ، لأن ذلك يحفظنا من
صغر النفس .

(د) من له معرفة وهمه قد هزم الشر لأنه مكتوب ان
الاهتمام ملازم للرجل الحكيم ، والضعف الهمة لم
يعرف بعد ما هو لخلاصه، أما الذي يقهـر أعداؤه
فإنه يكـلـ بـ حـضـرـةـ الـمـلـكـ .

(هـ) لو لم تكن حروب وقتال ما كانت فضيلة ومن
يـجـاهـدـ بـعـرـفـةـ فقد نـجاـ منـ الـدـيـنـوـنـةـ لأنـ هـذـاـ هوـ
الـسـوـرـ الـحـصـينـ .

الفصل الثاني :

فضائل جوهرية للحياة الإيمانية

* أولاً : الإيمان * ما هو الإيمان ؟!

- الإيمان حياة يحياها الإنسان " أما البار بالإيمان يحيا وان ارتد لا تسر به نفسي ". {عب ١٠: ٣٨} .

وإلا صار إيمانا نظريا يتلخص وينحصر في اعتناق عقائد معينة يرددتها الإنسان كما في قانون الإيمان ... ولا فائدة للإيمان باشـه بدون علاقـة خاصـة بهـ، نقوـدنا إلى محبـته وطـاعـتـهـ، وـتـؤـولـ إـلـيـ عـشـرـةـ تـبـداـ هـنـاـ وـنـسـكـمـلـهـاـ فـيـ الـمـلـكـوـتـ الأـبـدـيـ.. وـلـاـ فـائـدـةـ لـلـإـيمـانـ بـحـيـاهـ بـعـدـ الـمـوـتـ إـنـ لـمـ نـعـدـ أـنـفـسـالـهـاـ بـالـتـوـبـةـ وـالـمحـبـةـ وـالـجـهـادـ.ـهـذـهـ هـيـ حـيـاهـ الإـيمـانـ .ـ الإـيمـانـ الـعـمـليـ الـذـيـ يـخـلـصـ النـفـسـ وـتـظـهـرـ ثـمـارـهـ فـيـ حـيـاتـنـاـ،ـ وـلـيـسـ الإـيمـانـ الـنـظـريـ الـذـيـ لـاـ يـخـلـصـ النـفـسـ بـلـ يـجـلـبـ عـلـيـهـاـ دـيـنـوـنـةـ...ـ الإـيمـانـ لـيـسـ بـالـادـعـاءـ أوـ الـأـنـتـسـابـ أوـ الـورـاثـةـ ،ـ كـأـنـ يـدـعـيـ الإـيمـانـ حـامـلاـ اـسـمـ مـؤـمـنـ،ـ أوـ يـنـحدـرـ منـ أـسـرـةـ مـؤـمـنـةـ تـقـيـةـ...ـ

وـالـإـيمـانـ لـيـسـ مـجـرـدـ عـقـيـدـةـ نـظـرـيـةـ بـلـ هـوـ حـيـاهـ وـهـوـ يـخـتـبـرـ بـحـيـاهـ الطـاعـةـ لـهـ .ـ "ـ وـبـهـذـاـ نـعـرـفـ أـنـاـ قـدـ عـرـفـنـاهـ انـ

حفظنا وصاياه . من قال قد عرفته وهو لا يحفظ
وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه." {أيو ٣:٢، ٤:٤} .
والإيمان بالله لا يتطلب معرفة لاهوتية ، لكنه يتطلب
بالدرجة الأولى ثقة في الله وتصديقا لأقواله ومواعيده...
ويقول معلمنا بولس الرسول في رسالته للبرتانيين عن
الإيمان: " وأما الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان
بأمر لا ترى ." {عب ١١:٦}

ولأن الإيمان هو ثقة مطلقة في الله وكلامه المقدس
واعلاناته لذا " كل ما ليس من الإيمان فهو خطية "
{رو ٤:٢٣} . لأن عدم الإيمان يعني انعدام الثقة في الله
 وكلامه المعلن ...

علاقة الإيمان بالحياة الروحية :

ولأن الإيمان المسيحي مفروض فيه أن يكون إيمانا عملا
 بالمحبة ، فلابد وأن يكون وثيق الصلة بحياة الإنسان
 الروحية . ونحن بالإيمان نتغير وننمو، بل بالإيمان
 نتجاوز أنفسنا...

(١) الإيمان يؤثر على وعي الإنسان وإرادته... فالإيمان
 يثبت العقل ، ويلقي فيه بذار زرع مقدس جديد ، به

يقاوم الإنسان تجربة إشباع الأهواء وإخضاع كل شيء لها... وبالاجماع فان الإيمان يسمى بالإرادة. ويقول الرسول بولس : " ولكن بدون إيمان لا يمكن ارضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطبوه ". {عب ٦:١١} .

(٢) الإيمان وثيق الصلة بالصلوة : ويقول القديس أغسطينوس عن علاقة الإيمان بالصلوة :

" ان لم يكن فيك إيمان ، فلا مجال للصلوة. اذا كيف تصلى كمن لا تؤمن به. الإيمان هو ينبوع الصلوة. ويظهر الرسول أن الإيمان هو ينبوع الصلوة بقوله :

" **فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به .** " { رو ١٠:١٤ }
والنتيجة أمن لكي تصلى ، وصلى حفاظا على إيمانك الذي به تصلى ، الإيمان يفيض صلاة. والصلوة المفاضة تقوى الإيمان ... "

(٣) الإيمان يولد فينا الصبر: وما يناله الإنسان بالصبر لا يستطيع أن يناله بوسيلة أخرى .

(٤) الإيمان يمنحك قوة في زمن التجارب والشدائد: الإيمان النقي يحيا وسط التجارب وضيقات هذا العالم.

العالم يهتز ، أما الإيمان فلا يتزعزع ، بل هو الإيمان الراسخ. بالإيمان يعرف الإنسان أنه ليس وحده في حربه وجهاداته.. الإيمان يقوى ثقة الإنسان في جهاده ويقوي رجاءه في الله .

(٥) الإيمان يزيدنا ثقة في تصديق مواعيد الله. كل مواعيد الله هي لنا ، وننالها بالإيمان...الإيمان بمن ؟! "رئيس الإيمان ومكمله يسوع" {عب٢:١٢...وتعبير رئيس الإيمان" يعني بدء الإيمان وعلى ذلك فان المسيح هو أساس إيماننا، وبدء إيماننا ومكمل إيماننا...وبالإيمان به ننال كل شئ حسب مواعيده الصادقة ، ان حفظنا وصاياه ، وعشنا في طاعة الإيمان لله ولكتسيته " عمود الحق وقاعدته" . {أتي٣:١٥} .

ثانياً : الرجاء

الرجاء هو احدى الفضائل الكبرى " الإيمان والرجاء والمحبة" {أكو١٣:١٣} .

الإيمان يعطى رجاء ومن يكون له رجاء في الله يحبه، وهكذا يصل إلى قمة العلاقة بالله بالمحبة... وهكذا نرى الارتباط الوثيق بين هذه الفضائل الثلاث الكبرى . لا يمكن الفصل بينهما وان كان يمكن تمييزها عن بعضها... المحبة تعتمد على الإيمان والرجاء . والإيمان يعتمد على الرجاء والمحبة، والرجاء يعتمد على الإيمان والمحبة... وتبدو أهمية الرجاء أن من يفقده يمكن أن يفقد معه كل شيء، حتى الحياة ذاتها ، حينما ينقطع رجاؤه ، أى يقع في اليأس والقنوط... والرجاء هو الذي يدفع الإنسان إلى الجهاد والتعب، سواء في حياته الجسدية والروحية. لأنه إذا تملك الإنسان شعور بأنه لا أمل ولا فائدة من التعب والجهاد، فسوف يتوقف تماماً عن العمل والجهاد... إذا فالرجاء والحال هذه قوة دافعة في حياة الإنسان... وكما يرتبط الرجاء بالإيمان والمحبة، فإنه يرتبط أيضاً بالفرح. قد يسقط الإنسان في خطية ما، لكن الرجاء يبعث فيه أملاً، فتزول كآبته ويحل الفرح محلها.

والرجاء عطية مجانية من الله... يقول الرسول بولس: "ربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذي أحبا

وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالح بالنعمـة. يعزى قلوبكم
ويثبتكم في كل كلام وعمل صالح "تس ٢٦:١٧".
ولأن عكس الرجاء هو اليأس أو قطع الرجاء، فإن
خلاصنا هو بالرجاء... وإذا كان الرجاء عطيـة مجانية
من الله، فإنه يرتبط بخلاص الإنسان المجاني... ويقول
علمـنا بولـس الرسـول: " لأنـا بالـرجـاء خـلـصـنا. ولكنـا
الـرجـاء المـنـظـور لـيـس رـجـاءـا. لأنـ ما يـنـظـرـه أحـد كـيفـاـ
يرـجوـه أـيـضاـ. ولكنـ أـنـ كـنـا نـرـجوـ ما لـسـنا نـنـظـرـه فـانـنا
نـتـوقـعـه بـالـصـبـرـ". [رو ٨:٢٤، ٢٥]. والـرجـاء لـه أـثـرـه وأـهـمـيـتـه
في حـيـاة الإـنـسـان عـلـيـ المـسـتـوـيـ الشـخـصـيـ لـكـنـ هـذـا الرـجـاءـ
الـشـخـصـيـ يـرـتـبـطـ بـالـرجـاءـ فـيـ المـسـيـحـ قـبـلـ كـلـ شـئـ لـأـنـ هـوـ
رجـاؤـنـاـ. وـلـأـنـاـ بـدـونـهـ لـاـ نـقـدرـ أـنـ نـفـعـلـ شـيـئـاـ [يو ١٥:٥]ـ .
فـهـوـ الـذـيـ قـالـ عـنـهـ يـوـحـنـاـ الإـنـجـيلـيـ : " كـلـ شـئـ بـهـ كـانـ
وـبـغـيـرـهـ لـمـ يـكـنـ شـئـ مـاـ كـانــ ". [يو ٣:١]ـ المـسـيـحـ الـذـيـ عـرـفـهـ
الـقـدـيـسـ بـولـسـ وـقـالـ : " أـسـتـطـيـعـ كـلـ شـئـ فـيـ المـسـيـحـ الـذـيـ
يـقـوـيـنـيـ "ـ . {في ٤:١٣}ـ . المـسـيـحـ الـذـيـ هـوـ رـجـاؤـنـاـ - لـيـسـ
فـيـ هـذـهـ حـيـاةـ الـحـاضـرـةـ فـقـطـ بـلـ وـفـيـ الـدـهـرـ الـأـتـيـ - وـالـاـ
صـرـنـاـ أـشـقـيـ جـمـيعـ النـاسـ {كو ١٥:١٩}ـ

ثالثاً : المحبة

حينما نتحدث عن المحبة، فاننا نتحدث عن أعظم الوصايا الالهية، بل الكل مجموع في واحد. ونتحدث عن ما هو شهي الي قلب الله الذي هو المحبة ذاتها... والمحبة شيء يسهل علي الانسان اتمامه. فأنك أن أردت أن تحب الله لا تحتاج الي جهادات أو أتعاب ومشقات أو أموال أو وساطة بشرية. بل يكفيك الرغبة في أن تحب الله فلا تجد ما يمنعك عن ذلك.. ان المحبة بقدر سموها وعظمتها فهي سهلة. وقال الرب يسوع عن الوصية العظمى: "تحب الله الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك". بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء. " {مت ٢٢:٣٧، ٤٠} .

محبة القريب :

"هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتم" {يو ١٥:١٢} محبة الله حين تملأ قلوبكم تصير ينبوعاً متدفعاً تجاه الآخرين، وبواسطة هذه المحبة نستطيع أن نحب الآخرين. فهي محبة إلهية منسوبة في داخلنا

وتذهب كياننا. وتتحول المحبة إلى سلوك عملي روحاني في البذل والعطاء للآخرين. وإذا كان نحب بعضنا بعضاً، هذا دليل على محبتنا لله. وإذا كان نحب الأخوة ننتقل من الموت إلى الحياة. "نحن نعلم أننا انتقنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة. من لا يحب أخيه يبقى في الموت" {أيو ٣:٤}.

المحبة بالعمل والحق :

"وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاؤه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه. يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق." {أيو ٣:١٧، ١٨} فإذا نتذوق الحب خلال العطاء المادي نستعبده وندرك حلوته الداخلية ، فنستطيع بالرب يسوع أن نحب أخوتنا ونحب الله حتى الموت .

فالرب لا يطلب الصدقة لأجل إشباع الفقراء أنما نقدم له تقدمة الحب الشهي فيتقبلاها منا رائحة عطرة. وأن أحبابنا أخوتنا عمليا، وبالحق أي في المسيح يسوع. وليس بقصد المجد الباطل فأنا بهذا نعرف أننا ثابتون فيه، أي ثابتون في الرب يسوع الحق ، وتطمئن قلوبنا قدام الله فاحرص

القلوب .

وفي حبنا لأخوتنا لا نطلب مدح الناس ولا شهادتهم ، لأنهم لا يعرفون دوافعنا الداخلية ، بل شهادة الله . لأن شهادة الله أعظم من شهادة الناس ، وبذلك نؤهل لل Mage السمائي والمكافأة العظمى والإكيليل المعد .

أقوال الآباء :

(١) إذن لندرب أنفسنا على محبة الأخوة... فإن أحبت أخاك ستعain الله ، لأن بمحبتك لأخيك تعain المحبة ذاتها التي فيها يسكن الله .

القديس أغسطينوس

(٢) البناء لا يمكن أن يبني من أعلىه إلى أسفله ، ولكن الأساس أولاً ، وبعد ذلك البناء من أسفل إلى فوق . لأن أساس كل عمل صالح هو محبة القريب . فيجب علينا قبل كل شئ أن نبدأ بها ، لأن وصايا المسيح إليها مبنية على هذا الأساس ، الذي هو المحبة .

القديس أثينا

رابعاً: اقتناء الاتضاع

كيف أقتني الآباء الاتضاع؟!

الآباء أفتتوا الاتضاع عن طريق الجهاد الروحي ، وممارسة التداريب الروحية بواسطة النعمة الموهوبة من الله التي كانت تعزّزهم وتسندهم في جهادهم. واقتناء الاتضاع عند الآباء لم يكن هدفاً في حد ذاته كفضيلة يجب أقتناها، بل هم ساروا على منهج رب يسوع الذي قال بفمه الطاهر: "احملوا نيرى عليكم وتعلموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف" {مت ١١: ٢٩، ٣٠}. فتعلموا من رب الاتضاع بما استوعبوه من أقوال رب يسوع وأعماله المحبية والمسطرة في الأنجليل.

وتتفيد وصايا رب بالحب، فأحبوا رب من كل قلوبهم ولم يكن أي شيء يستطيع أن يفصلهم عنه. كما قال معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية: "من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم أضطهاد أم جوع أم

عرى أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب أتنا من أجلك نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للدبح .ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا. فأني متيقن أنه لاموت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تقصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" {رو٨،٣٥:٣٩}. فقبول الألم بالحب ، يقود إلى الأتضاع والأتضاع يعطى قوة الاحتمال ، وفي الاحتمال يجد المعونة من عند الرب الذي يعهد ويسند بالنعمة الذين يحتملون الآلام باتضاع. وأحبوا الأتضاع ليصيروا قريبين من الرب ، والرب قريب منهم. فإن كان تدريب الأتضاع في بدايته صعبا وشاقا، الا انه ما يلبث أن يصبح أمرا محبا للنفس التي تمارسه بعد أن تتدوّق حلاوته .

(في الابتداء نبغض المديح بتغصب وتعب ، ثم ينمو الأتضاع بفعل الفضائل فيحسب الإنسان كل ما يكمله من صلاح كلا شيء ، بل كالشيء المرذول ، حتى نري كأننا نزيد على خطايانا. وحينئذ يتحفظ العقل في خزانة

الاتضاع ، فلا يسرق من مناظر وسمواعات. واذا نما
الاتضاع الي طبقة الكاملين ، فلا اعرف ان اشرحه
حينئذ. أنه كالنبات الذي لا يقف نموه مادام يسقي من ماء
الفضائل الطاهرة) .

القديس يوحنا الدرجي

خامسا : العبادة الحقيقة

العبادة الحقيقة هي رؤية الله، وتعبير عن أفكار العابد
ومشاعره من نحوه.... انها بالدرجة الأولى عمل الروح.
لا يجب أن تصرفنا طقوس العبادة الكنسية عن الجوهر
الذى تهدف اليه الكنسية، وهي أنها نقدم عبادتنا لله بالروح
لأنه هو الروح . " لأن الله روح والذين يسجدون له
فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا " {يو ٤: ٢٤} ..

ان العبادة تصبح كلاماً شائعاً ما لم تكن لله وحده ، وما لم
تتلحم الروح معه... ان عبادتنا ترتبط بقولنا لله.

العبادة هي عمل تقوى يقدم لله ويوجه له شخصياً حينما
يمثل العابد في حضرته... وهذا لا يأتي ما لم يحس

الإنسان أنه في حضرة الله من يريد أن يكون عابداً حقيقياً، عليه أن يعرف أولاً الطريق إلى عرش النعمة.. انه طريق واحد. هذا الطريق هو الرب يسوع له المجد فهو الطريق الوحيد.." أنا هو الطريق والحق والحياة " {لـيو ٤:٦} والوسيلـ الوحـيد بين الله والنـاس {أـتي ٥:٢}... والطريق الذي يجب أن يسلكه العـابـد هو طـرـيق الصـلـيـب ، طـرـيق الحـبـ والـجـهـاد!! وأـولـادـ اللهـ وـحـدهـ هـمـ الـذـينـ يـسـتـطـيعـونـ أـنـ يـعـبـدـوهـ بـالـحـقـ لـأنـهـ يـعـرـفـونـ طـرـيقـ..ـ حينـماـ يـمـارـسـ إـلـاـنـسـانـ الـعـبـادـةـ عـلـيـهـ أـنـ يـخـلـيـ ذـاتـهـ مـنـ كـلـ شـئـ،ـ ليـكـونـ بـكـلـيـتـهـ لـلـهـ.ـ حينـئـدـ يـتـحدـثـ العـابـدـ إـلـيـهـ وـيـسـتـمـعـ إـلـيـهـ وـهـوـ يـحـدـثـ وـيـكـشـفـ لـهـ مـنـ أـسـرـارـهـ "سـرـ الـرـبـ لـخـائـفـيـهـ" {مزـ١٤:٢٥}.ـ انـ تـفـكـيرـنـاـ فـيـ اللـهـ وـكـلـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ يـقـدـمـ لـنـاـ مـادـةـ لـعـبـادـتـهـ ...ـ فـيـ اللـهـ نـرـيـ كـلـ العـظـمـةـ وـالـقـوـةـ وـالـسـيـادـةـ..ـ وـفـيـ مـلـكـهـ الـلـانـهـائـيـ يـطـوـفـ الـفـكـرـ سـرـيـعاـ وـبـعـيدـاـ..ـ انـ الشـمـسـ وـالـكـواـكـبـ وـالـأـقـمـارـ وـالـأـفـلـاكـ،ـ لـيـسـتـ سـوـيـ نـقـطـةـ ضـئـيلـةـ فـيـ مـلـكـةـ اللـهـ غـيـرـ الـمـتـاهـيـةـ...ـ حينـماـ نـتـقـدـمـ اللـهـ لـعـبـادـتـهـ ،ـ نـقـفـ بـخـوفـ وـرـعـةـ أـمـامـ مـلـكـنـاـ الـعـظـيمـ،ـ فـنـنـحـنـيـ أـمـامـ عـظـمـتـهـ،ـ ذـاكـ الـذـيـ :ـ "ـ كـالـ بـكـفـهـ الـمـيـاهـ وـقـاسـ

السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض وزن الجبال
بالقبان والأكام بالميزان." {اش ٤٠:١٢}.

لا شئ يشبع القلب الجائع العطشان مثل المجرى للواحد
الكلي القوة والسيادة والمعرفة، لكينا نعبده عن حب...
ولعله مما يحرك فينا المشاعر نحو الله التأمل في محبته
ورحمته ونعمته المجانية التي أظهرها في ابنه يسوع
المسيح ربنا..."هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد
لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة
الأبدية" {يو ٣:٦}. ان تذكر هذه الأمور يحرك الإنسان
لل العبادة. ان الإنسان يجد أسبابا كثيرة تحفزه علي التعبد،
حتي أن أولاد الله يشعرون بنيران التعبد تشتعل دائما في
قلوبهم، ما لم تأتي فيضانات هموم العالم لتغرق الإنسان
وتطفئ نار قلبه المقدسة... في هيكل العهد القديم كانت
النار في مذبح المحرق تظل مشتعلة أبدا لا تطفئ. هكذا
المذبح الداخلي للإنسان ، في قلبه لا تطفئ نار المحبة،
ولا تقل حرارتها، إلا عندما يحول الإنسان وجهه عن الله،
ويinsi كل عمل الله معه وأحسن به إليه.. ليتنا نتذكر
كلمات صاحب النشيد: "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ

المحبة والسيول لا تغمرها. ان أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحقر احتقارا " {نش:٨} " باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حساناته." {مز:٣٠:٢} . لنخلص في عبادتنا للرب في كل وقت، لتصير هذه العبادة بالحب والانسحاق من أعمق القلب الداخلية بتذلل أمام الله ودموع... فيسكب الله في قلوبنا الفرح ويملاها بالسلام وينقلنا إلى السيرة الروحانية والحياة الملائكية لحساب الملوك والحياة الأبدية.

الفصل الثالث :

فضائل للحياة الروحية

أولاً : الصوم

جوهر الصوم

جوهر الصوم هو انطلاق الروح من مطالب هذا الجسد الذي يعطل سمو الروح ، ويرتفع بعيداً عن ثقل المادة ، فتتجه الروح والجسد معاً في اتجاه واحد هو محبة الله والتمتع بعشرته .

هذا الصوم يجب أن يكون مقدساً ، أى مخصصاً لله وحده فقط دون شئ آخر .

ثلاثة أشياء لابد ان تخصصها الله في صومك ، إن أردت ان تقدس هذا الصوم لله .

فى هذا الصوم الكبير تخصص القلب والفكر والإرادة لله فلا يكون كل صومك هو انشغال بالأكل والشرب . وإنما امتناعك عن الأكل والشرب ، وضبط النفس فيما ترغب فيه وتتشتهي ، إنما هو تدريب لهذه الإرادة كيف تقوى ، ولا تكون قاصرة على موضوع الطعام فحسب ، وإنما إرادتك التي نجحت في السيطرة على الطعام ، تقدم ذاتها لله في كل شئ .

(١) يجب إن تكون إرادتك وفق إرادة الله .

وهذه هي الحكمة من الصوم . أن منع النفس عن الأكل ، يمتد إلى أن يصير منعاً عاماً عن كل ما يغضب الله . في صومك قدم إرادتك لله في كل تصرفاتك وقل له "لتكن لا إرادتي بل إرادتك " .

(٢) حاول أن تعرف أين تشرد إرادتك بعيداً عن الله .

حاول بكل جهدك والنعمه تسندك ، لكي تقدم الله إرادة صالحة ترضيه . وهذا التدريب الذي تسلك فيه أثناء الصوم سوف يصاحبك بعده أيضاً . لأنه من غير المعقول أن تصبّط نفسك في البعد عن خطايا معينة أثناء الصوم ، ثم تبيح هذا الأمر لنفسك عندما ينتهي الصوم ! . وإلا فما الذي تكون قد إستقته من صومك ؟ ! .

(٣) احرص أن يكون الصوم قد غير فيك شيئاً .

لا تأخذ من الصوم مجرد تغيير الطعام ، إنما تغيير الحياة إلى أفضل ... تغيير الناقص التي فيك ، والضعفات التي تكون سبباً في توتر العلاقة مع الله والناس .

(٤) في الصوم يجب أن يكون القلب ملتصق بالله .
هل تعطى قلبك الله كما تعطيه إرادتك ؟ وهل تشعر
بحبه أثناء الصوم ؟ وهل هذا الحب طابع واضح في
صلواتك وتأملاتك أثناء الصوم .
وهل من أجل محبته نسيت طعامك وشرابك ، ولم تعد
تهتم بشيء من هذا ؟ .

(٥) في الصوم يشغل الفكر بالرب وحده .
الصوم فترة مقدسة للرب ، مخصصة له ، يجب فيها
أن يشغل الفكر بالله وحده .
لتدخل إلى أعماق نفوسنا ونفحص ذواتنا جيداً ،
وأفكارنا أين هي أثناء الصوم .
هل أنت أيها الأخ في دوامة العمل مشغول ، وفي
دوامة الأخبار وكثرة الأحاديث مع الناس ، حتى لا تجد
وقتاً لله تعطيه فيه فكرك وربما تصوم حتى الغروب
وفكرك ليس مع الله .
ربما تفكر في أمور تافهة ، وتتكلم في أحاديث مطولة
لا نفع منها ولا فائدة ولا ثمار تجني . والله ليس في
فكرك .

لا تتنذكِ الله إلا حين تجلس لتأكل فتصلى فقط .
وتتنذكِ أنك كنت صائماً هل هذا صوم روحي يريح
ضميرك ؟ .

ليتك تتنذكِ قول داود النبي في المزمور : " جعلتَ الرب
أمامي في كل حين . لأنَّه عن يميني فلا أتززع "
(مز ١٦ : ٨) .

تقول هو أمامي في كل عمل أعمله ، وفي كل كلمة أقولها
الله هو هدفك الوحيد وهو يراك وشاهد على كل شيء
تعمله وعلى كل فكر فيه وعلى كل كلمة تقولها .

ليتنا في الصوم نضع الله أمامانا في كل حين لكي ما
تدركنا مرحباً بالرب ، ويغيب علينا من مواجهة وبشرى
على عقولنا بأشعة النقاوة ل تستثير بحكمته الإلهية ، وننال
الفهم الحقيقي من عند رب .

ثانياً : فضيلة الصلاة

{1} حديث الصلاة :

لا تظن أن الصلاة هي مجموعة اصطلاحات متراءصة متلاصقة ، أو مجموعة آيات محفوظة ، يضاف اليها بعض الألفاظ المنمقة المنتقاء .. لا تظن ذلك ، بل أن الصلاة الحقيقية هي حديث على سجيته .. يفيض بها القلب وينطق بها اللسان . لا تتقيد باستخدام اللغة الفصحى في صلاتك لئلا يقيد اللفظ المعنى ويمنعك من الانطلاق في حديث شجى مع من تحبه نفسك ..

لا تكن رسمياً في صلاتك الى الله .. فعلاقتنا مع الله علاقة بنين لا عبيد . فالله لم يعطنا روح العبودية للخوف بل روح التبني التي بها نصرخ يا أبا الآب .. ستكون أمامه بمفردك .. انطلق من ذاتك ومن قيود المجتمع ، وحدثه عن متاعبك وألامك وحبك واشتياقاتك ، قل له " انى مغلوب يا إلهى فى كذا و كذا ، وأريد أن أحيا لك فى طهارة وبر ، قونى وأعنى...". ادخل مع الله فى حديث دالة ونقاش كما كان يفعل داود : " ان كنت للآثام راصدا يا رب . يا رب من يثبت أمامك " ذكره بمرأحمه مع

آبائك وإحساناته إليهم من جيل إلى جيل ، واطلب منه أن يعاملك هكذا ، فهو أمس واليوم والى الأبد .

يجب على المصلى ان يستخدم لغة المفرد في صلاته فيقول: أنا إنسان خاطئ ، وكثيراً ما أهنتك وأغضبتك يا إلهي وتعذيت وصاياك .. " فتعبيرات المفرد توقف المصلى وجهاً لوجه أمام الله ، فيشعر أنه في حديث واقعي معه . ويعبر بما في داخله من أتعاب وأحزان ويعترف قدام الرب بخطاياه وما ارتكبه من آثام دون خوف وبصراحة تامة ، وعجزه في تنفيذ وصايا الرب ، وإذا كان اعترافه صادقاً نابعاً من أعماقه ويشعر بخجل إزاء محبة الله وحنوه ورحمته ، حتماً الرب يقبل صلاته ويمنحه الغفران والفرح والسلام القلبي .

{٤} عناصر الصلاة :

ليست الصلاة التي نرفعها إلى الله مجموعة طلبات فحسب ، وإنما كانت علاقتنا به علاقة نفعية .

ولكن هناك مثلاً طلبات من أجل الآخرين تدفع إليها المحبة والخدمة . وقد تكون الطلبة من أجل الآخرين

لأسباب روحية تتعلق بخلاص أنفسهم ، كما قد تكون من أجل خيرهم في الحياة الجسدية ، كطلب شفائهم من أمراض ، أو انفراج ضيقاتهم ..

وهناك عناصر أخرى ينبغي أن تتضمنها صلاتنا ، تلك التي نلمس طرفاً منها في كلمات الرسول بولس : " فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس .. " (١ تى ٢ : ١) .

ونضع الآن أمام أعيننا أربعة عناصر هامة يجب أن نلاحظها في صلواتنا :

(١) يجب أن نمجد الله بكل قوتنا وبقدر استطاعتنا .. ولنلمس ذلك في المزمورين (١٠٣ ، ١٠٤) .

(٢) نشكر الله من أجل إحساناته لكل البشر عامة ولنا خاصة .

(٣) يعترف الإنسان بخطيئاه وعصيائه لأوامره ، وطلبه إلى الله أن يغفر خطيئاه الماضية وأن يشفيه من كل الأمراض الروحية المتسلطة عليه ، والتي تعطل خلاصه

٤) يقدم المصلى الى الله احتياجاته الروحية والنفسية والجسدية وللجميع .

وأخيراً يختم المصلى صلاته بتمجيد الله .. على عظم صنيعه معه وهياً له هذه الفرصة المقدسة التي فيها يلتقي بالله ويتحدث إليه لينال من لدنه رحمة واسراراً بالنور الإلهي على العقل فيستثير بالحكمة ويعرف ما هي مشيئة الله الصالحة ، والخير الذي يريده رب له وأنه سوف يستجيب في الوقت المناسب لأن الله هو صانع الخيرات ويحب الخير لأولاده ويسندهم بنعمته ليكونوا قدисين أمامه وبلا لوم قدامه في المحبة .

لذلك افتقاء فضيلة الصلاة أساسى فى حياة المسيحى ، من خلالها ينال تقدس لكيانه ونمو فى الحياة الروحية .
فهى مفتاح الأسرار ، فالإنسان عديم الصلاة خالى من كل صلاح .

لذلك نحرص على الصلاة فى كل حين كما قال رب : "ينبغي أن يصلى فى كل حين ولا يمل " {لو ١٨: ١} .

والصلاۃ هی عمل الروحانیین للسمو فی جميع الفضائل .
وھی السلاح القوى الذى يحمينا من کل التجارب
والشرور .

والدخول فی حیاة نقویة ، وعلاقة حب شخصية مع الله ،
وشركة مع السمائيين ، ومن خلال عمل الصلاۃ يكشف
لنا أسرار غير معلنة تدريجيا من خلال صلاۃ بانسحاق
وایمان ودموع وتذلل قدام الرب . وفي الصلاۃ نتراءی
قدام الله ونحظی بالرؤیة الروحیة والمعاينة الإلهیة بنقاوة
القلب .

ثالثاً: فضيلة العطاء

" وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك . لكي تكون صدقتك في الخفاء . فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية " {مت ٦: ٣ ، ٤} .

- مفهوم العطاء في المسيحية :

الصدقة في مظهرها التخلى عن الماديات وتقديمها للرب يسوع في شخص اخوته المحجاجين وفي جوهرها تحمل تقريرغا للقب الداخلى عن محبة العالم وامتلائه بمحبة ربنا يسوع الساكن فيه .

• مفاهيم أخرى :

- (أ) بخور حب تقد للرب .
- (ب) تحرر من عبودية العالم .
- (ج) مشاركة لأعضاء جسد الرب المتألمة .
- (د) الصدقة وزنة يلزم إضرامها بأمانة .
- (هـ) الصدقة علامة صادقة عن التوبة .

* وعظيم هو عمل العطاء وكثيرة هي بركاته ، فالعطاء :

{١} نتمثل بالله صانع الخيرات :

الإله الحى صانع الخيرات ، يفيض بمحبته على البشر ،
وهكذا إذ تمتد يدنا بعمل المحبة لإخوتنا نكون قد تشبهنا ،
وكما يقول الآباء :

(أ) ليس شئ يجعلنا هكذا مقربين من الله وعلى شبهه
مثل هذا العمل الحسن .

(ب) الصدقة قوية وذات سلطان حتى تحل القيود
والأغلال ، وتبدد الظلم ، وتخمد سعير نار حبهم ،
وتوهّل فاعليتها للتشبه بالله لقوله : " كونوا رحماء
كما أن أباكم الذى فى السموات هو رحيم " .

{٢} تصير لنا دالة عند محب البشر :

الرحمة تصدع الإنسان إلى علو شامخ وتعطيه دالة
بلية عند الله .

{٣} نعتقد من الدينونة :

وكلما يقول سفر الأمثال : " بالرحمة والحق يستر الإثم
وفى مخافة رب الحيدان عن الشر . " [أم ١٦: ٦] .
• " فارق خطاياك بالبر وأثامك بالرحمة على
المساكين لعله يطال اطمئنانك " [دا ٤: ٢٧] .

• " بل اعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شئ يكون
نقياً لكم . " [لو ١١ : ٢٤] .
[٤] تنازل بركات زمنية وحياة أبدية :

من له نفس محبة رحومة يكون كمن له كنز من
البركات ، إذ تكون ينبعوا لاحتياجات إخوته ومصدر
تمتع بكل المكافآت التي أعدها الإله .

لقد وعد الرب أن من يترك من أجله يأخذ في هذا العالم
مائة ضعف وفي العالم الآتي الحياة الأبدية .. هكذا لا
يترك الرب نفسه مديناً دون أن يفي دينه مضاعفاً .

[٥] بالصدقة نفرض الرب :

* " من يرحم مسكييناً يفرض الرب " .

لم يقل " يعطي بل يفرض " ، وذلك لأن الكتاب المقدس
يعلمنا حب الاغتناء .

فإننا لا نعمل من الاغتناء ، بل دائماً ننظر الزيادة ونطلبها
لذلك قال : " يفرض الرب " .

أما تقبل أن يكون الله مديناً لك لا دائننا ، وأنت تعلم أن
المدين يوخر الدائن ، أما الدائن فلا يستحق منه المدين .
القديس يوحنا ذهبى الفم

[٦] الصدقة تفتح باب السماء :
العطاء بالحب والغبطة والسرور . والعطاء من الاحتياج
ومن أجل الله يكون له فاعلية .
 يجعل الصلاة مقبولة ترتفع أمام عرش الله كرائحة سرور
يشتمها الرب رائحة رضي .

• [انها تفتح أبواب السماء ، لأنه يقول : " إن
صلواتك وصدقاتك قد ارتفعت قدام الله . ".
فهي أكثر ضرورة من البتولية ، لأنه بدونها خرجت
العذارى الجاهلات من الخدر ، بينما دخلت الآخريات
بسعة [.

القديس يوحنا ذهبى الفم

رابعاً : القراءة الروحية

قال الآباء عبارتهم المشهورة : " القراءة هي ينبوع الصلاة الندية " .

وأوصى معلمنا بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً : " إلى أن أجي أعكف على القراءة والوعظ والتعليم " [اتى ٤: ١٣] .

وتتقسم القراءة الروحية إلى قسمين : القراءة في أسفار الكتاب المقدس ، والقراءة في الكتب الروحية بصفة عامة إن حياة يسوع تعطينا فكرة عن قيمة الكلمة في حياتنا . ففي التجربة على الجبل ، وفي كل مناسبة تعرض لها ، إلى أن صرخ على الصليب قائلاً : " إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيرى . "[مز ٢٢: ١] علمنا كيف يجب أن نحفظ كلمة الله في قلوبنا ونسلح بها في جهادنا ضد أعداءنا ...

- من أقوال مار سحق السريانى في الاهتمام بالقراءة : [١] من القراءة ينجمع الفكر ، لكي ما يقتني عنه وحياة ونقاوة إلا من الصلاة .

[٢] القراءة تجعل الإنسان الخفي خليقة جديدة . ومن الصلاة ينفح فيه روح الحياة ، والحرارة الإلهية تلهم العقل في كل وقت ليطير من الأرضيات ويحل في مسكن الحياة .

[٣] الزم القراءة إن أمكنك ... لأنها ينبوع الصلاة النفية وعونها .

[٤] حرارة النفس تتولد من القراءة الدائمة في تدبير السكون المقرون بأعمال توادر الصلاة .

[٥] حسن الصلاة إذا امترج بالقراءة الدائمة بافراز يوصلنا إلى هذيد العقل .

[٦] عندما يدنو الإنسان إلى الصلاة فإن تذكر القراءة يلهب المصلى بفهم الكلام الصحيح الذي قيل عن الله القدس الممد .

خامسا : فضيلة الدموع

" العيون المرفوعة لله لا تتخذل أبدا ... "
إن داود رجل الصلاة اختبر الدموع وعرف قوتها ،
وكثيرا ما يحدثنا عن الدموع في مزاميره ..
" تعبت في تنحدي . أعوم في كل ليلة سريري . بدموعي
أذوب فراشي " {مز ٦: ٨} ..
" استمع صلاتي يارب واضح إلى صرافي . لا تسكت
عن دموعي . لأنني أنا غريب عندك نزيل مثل جميع
آبائي . " {مز ٣٩: ١٢} .

لقد اتخذ رجال الله في كل زمان ، من الدموع وسيلة لنيل طلباتهم من رب بالتذلل . هكذا فعل أيوب الصديق :
" خطت مسحا على جلدي ودست في التراب قرنبي .
احمر وجهي من البكاء " [أى ١٦: ١٥، ١٦] .
وأرميا النبي صاحب المراثي كانت أمنيته :
" يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهارا
وليلا قتلى بنت شعبي . " [أر ٩: ١] .

والرب يدعونا لذلك فيقول على فم يوئيل النبي : "ارجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح..." [يؤٰ ٢ : ١٢] . من أجل هذا طوب رب المجد العيون الباكية : " طوباكم أيها الباكون الآن " [لو ٦ : ٢١] .

- أقوال الآباء عن الدموع :

[١] اسكبوا أمام الله الدموع لتصير صلاتكم كالبخار قدامه . مجاري المياه لوقت الحريق ، ومجاري الدموع في زمن التجربة . الماء يحمد لهيب النار ، والدموع تطفئ شهوة الشر .

القديس مارا فرام السرياني

[٢] العين الباكية هي جرن دائم لمعمودية التوبة والتجديد
يوحنا الدرجى

[٣] طوبى للباكين من أجل الحق ، لأنه من خلال
دموعهم يرون باستمرار وجه الله .

مارا سحق السرياني

[٤] استعمل الدموع عند سؤالك ما تتمناه ، لأنَّ الرب يفرح جداً بالصلوة التي تكون بالدموع ، ويبتهج لها ويقبلها سريعاً .

القديس الأنبا أوغريوس

• مَاذَا تفعل الدموع؟! .

- (١) ترد غضب الله .
- (٢) تخلص من الضيقات .
- (٣) تنجي من الموت .
- (٤) تجذب النفوس بعيدة من وحدة الهاك .

من أجل هذا تحت الكنيسة أبناءها على طلب الدموع بأوفر اجتهاد من الله .

وقد عبرت عن ذلك في قطع الخدمة الثانية من صلاة نصف الليل ، فيقول : " اعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة كما أعطيت منذ القديم للمرأة الخاطئة ، واجعلني مستحقاً أن أبلل قدميك التي اعتقانى من طريق الضلاله .. " .

الفصل الرابع :

فضائل من أجل الآخرين

أولاً : فضيلة الخدمة .

ما هي الخدمة ؟!

* **الخدمة هي** : رسالة حب تفيض من إنسان إلى آخر .
أو هي عبارة روحية تنتقل من خلال العمل الكنسى .
ولكن الهدف الحقيقي هو خلاص النفس .
إذن هدف الخدمة هو خلاص النفس ، وهو بناء الملائكة .
يقول معلمنا يعقوب الرسول : " **فليعلم أن من رد خاطئًا**
عن ضلال طريقه يخلص نفسا من الموت ويستر كثرة
من الخطايا " [يع٥: ٢٠] .

وطبيعي أنك لا تستطيع أن تعمل في بناء الملائكة وحدك ،
بل بشركة مع الله .

وقد قال السيد المسيح : " **بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً**
[يو٥: ١٥] "

* **الخدمة هي شركة مع الله في العمل** .

قال معلمنا بولس الرسول : " **نحن عاملان مع الله** "
[اكو١٣: ٩] . فكر إذن : هل أنت تعمل مع الله ، أم
تعمل وحدك ؟ .

وعليك بأن تعمل مع الله ، تشرك الله معك .
كما تقول الأوشية : " اشترك في العمل مع عبيدك في كل
عمل صالح " .

وإن كانت الخدمة هي عمل الله فيك وبك ومعك ، يجب
عليك :

[١] الامتلاء من الله .

الامتلاء هو الوسيلة التي توصلك إلى هدفك من الخدمة
وقال معلمنا بولس الرسول : " امتلئوا بالروح " [أف٥:٨]
[٢] محبة الناس من أجل خلاصهم .

تحب الناس ، فتريد لهم أن يحبوا الله ، كما أحببته أنت ،
 وأن يذوقوا ما أطيب الرب كما ذقته أنت وبهذا الحب
تعرفهم طريق الرب وتعرفهم اسمه .

وكما قال السيد المسيح في حديثه مع الآباء عن تلاميذه : "
وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي
أحببتني به وأكون أنا فيهم " [يو١٧:٢٦].
[٣] الصلاة من أهم وسائل الخدمة .

ليست الخدمة هي مجرد تعبك وسعيرك ووعظك وتعليمك ، إنما لكى يأتي كل هذا بثمر ، ينبغي أن تسكب نفسك أمام الله فى الصلاة ، لكي تعطى الكلمة النافعة ، كما قال معلمنا بولس الرسول : "مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواطبة وطلبة لأجل جميع القديسين . ولأجل لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي لأعلم جهارا بسر الإنجيل . " [أف٦: ١٨، ١٩] . إن كان القديس بولس يطلب هذا ، فكم بالأولى نحن ؟ ! . عليك أيضا أن تصلى ، لكي يعطى الله قوة للكلمة ، فتدخل إلى قلوب الناس ، وتحدى تأثيرها ، وتتأتى بثمر .

[٤] **السلوك في الخدمة باتضاع .**

لأن كثيرين يخدمون ، وينسون أنهم خدام ، وفي ذلك ما أجمل صلاة القديس اوغسطينوس من أجل رعيته ، إذ يقول : " أذكر يا رب سادتي ، عبيدك ... " .

ثانياً : فضيلة عدم الإدانة

" لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنكم بالدينونه التي بها تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يقال لكم . ولماذا تنظر الفذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبه التي فى عينك فلا تفطن لها " (مت ١: ٧ - ٣) .

إن كنا نطلب لأنفسنا الحياة النقية الداخلية هذا يليق بنا . فمن الناحية الأخرى فإن الحكم على الآخرين أو إدانتهم يسحب قلوبنا من التركيز على ما هو لخلاص أنفسنا وبنياننا الروحي ، إلى إدانة الناس والحكم عليهم . والإدانة تفقدنا طبيعة الحب نحو أخوتنا فنخسر نعمة حب الله لنا الساترة علينا ، فيما نحن نحكم على الغير يُحكم علينا ..

• لماذا ندين الآخرين ؟ ! .

(١) لا ندين لأننا لا نملك حق الدينونة ، لأن الدينونة الله وحده . " واحد هو واسع الناموس القادر أن يخلص ويهلك . فمن أنت يا من تدين غيرك . " [يع ٤: ١٢] .

(٢) لا ندين لأننا تحت الضعف . لأن الذى يدين يفعل نفس الأمور عينها . " لذلك أنت بلا عذر أىها الإنسان كل من يدين . لأنك فى ما تدين تفعل تلك الأمور عينها " [رو٢: ١] .

(٣) لا ندين لأن الله يطيل أناه علينا لكي يقتادنا إلى التوبة " أم تستهين بعنى لطفه وإمهاله وطول آناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة " [رو٢: ٤] .

(٤) لا ندين لكي لا ندان ، ولا نحكم على أحد فى يحكم علينا . " لا تدينوا فلا تدانوا . لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم . اغفروا يغفر لكم . " [لو٧: ٣٧] .

أقوال الآباء :

(١) أظن أننا نتعلم من هذه الوصية ضرورة افتراض أحسن قصد ممكн لأعمال الآخرين التي يمكن لنا أن نشك فى نيتها .

القديس أغسطينوس

(٢) استر على الخطأ من غير أن تنفر منه لكيما تحملك رحمة الله .

(٣) من كان ضميره دائماً يهذى بالصالحت ، لا ينظر إلى نقائص قريبه .

(٤) من يزيل من ضميره هفوات قريبه ، يزرع السلام في قلبه .

(٥) إياك أن تسمع بسقطة أحد أخوتك لئلا تكون دنته خفيه

(٦) احفظ سمعك لئلا تجمع لك حزناً في ذاتك .

(٧) خير للإنسان أن يضع نفسه للموت من أن يضع جاره ولا يدينه في شيء ما .

القديس موسى الأسود

٨) لا تفترى على أخيك ولو رأيته عاجزاً عن اتمام جميع الفرائض ، لئلا تقع فى أيدي أعدائك وتفعل الخطايا القديمة التى فعلتها .

٩) اياك أن تعيب أحداً من الناس لئلا يبغض الله صلاتك ولا تغير أحداً مهما كانت الأسباب .

القديس الأنبا انطونيوس

١٠) المحبة لا تعرف أن تدين رفيقها ، ولا تكافئ بالسيئات .

الأنبا تيموثاوس

١١) ان شئت أن تجد راحة في هذه الدنيا ، قل في كل أمر تعمله : أنا ما أنا . كما لا تدن أحداً .

أحد الآباء الشيوخ

١٢) اياك أن تقول في قلبك من جهة إنسان ، انك احرص منه أو أكثر معرفة منه أو أبر منه ، بل اخضع لنعمة الله ولروح الحكمة ، والحب الذي ليس فيه غش ، لئلا تتطفئ بالعظمة وتضيع تعبك . لأنه مكتوب : يا أيها الذي تظن أنك قائم أحذر لئلا تسقط .

أحد الآباء الشيوخ

اسم الكتاب : التوبة واقتضاء الفضائل
المؤلف : حضره صاحب النيافة الأنبا ياكوبوس
الطبعة : الأولى - مارس ٢٠٠٧
الناشر : كاتدرائية السيدة العذراء ومariyouna الرسول بالزقازيق
رقم الإيداع :
الرقم الدولي :